مكتب الجزائر للدعاية والنشر

حقيقة الجزائر

عبد الحميد مسعود الجزائري

مكتب الجزائر للدعاية والنشر

حقيقة الجزائر

عبد الحميد مسعود الجزائري

فهرس


الأستاذ احمد توفيق المدنى

الإهداء

إلى أستاذى ومعلمى الكاتب الجزائرى الحر الذى كرس حياته لقضية بلادى و بلاده ...

إلى الوطنى الكبير الذى طالما دوى صوته فى جنبات « نادى الترقى » بالجزائر .. فكان الشرارة الأولى فى معركة الحرية الكبرى الدائرة الآن فوق أرض الجزائر الثائرة .

إلى الكاتب الكبير والزعيم الوطنى الحر الأستاذ أحمد توفيق المدنى أقدم هذا الكتاب المتواضع تقديراً لكفاحه المجيد ، ومساهمته الفعالة فى ثورة التحرير الكبرى .

عبد الحميد سعود الجزائرى

مقدمة



أنا مواطن جزائرى كـكل إخوانى الجزائريين ..

أنا واحد من الملايين التى عاشت فوق أرض الجزائر وشاهدت الصراع الجبار الذى يدور بين قوى الاستعمار والشعب الجزائرى الباسل .

أنا واحد من الملايين الذين صوب إليهم رصاص المستعمر وحكم عليهم بالجوع والتشرد والموت ! .

أنا واحد من الملايين الذين طاردتهم قوى الاستعمار وسلبتهم حق الحياة فوق أرض جدودهم

أنا واحد من الملايين الذين سرق الاستعمار أقواتهم واستغل قواهم واستعبدهم وفتح لهم السجون ونصب لهم المشانق ! .

أنا واحد من هؤلاء الذين يسمع العالم كله الآن دوى رصاصهم ... و ينتظر الأحرار نتيجة كفاحهم .. و يرتعش الاستعمار من ثورتهم ..

أنا واحد من الشعب الثائر ، حرمنى الاستعمار نعمة العيش فوق أرض بلادى فحكم علىّ بالإعدام ودفعنى إلى الهرب تحت جنح الظلام لأواصل كفاحى فوق أرض وطنى الثانى ... مصر العزيزة !

فتحت عينى منذ ولدت على ظلام الاستعمار ، وشاهدت شعبى يعيش تحت الأقدام وفى التراب ، شاهدت الجوع والمرض والجهل والظلم يخيم فوق أرض بلادى الخضراء ...

ورحت مع ملايين الجزائريين ألتمس طريق الخلاص ، وأبحث عن الحقيقة فى كل مكان .. وما أصعب البحث عن الحقيقة بين الظلام الكثيف الذى كان يعمى أبصارنا . . . ومع ذلك كنا نحاول . . . ونحاول .

ووسط هذا الظلام الكثيف لاحت لنا الحقيقة . . . ما سبب جوعنا وفقرنا ومرضنا وجهلنا ... أنه الاستعمار . . . ومن الذى يستعمرنا ... أنها فرنسا . . . وكيف جاءت فرنسا إلى بلدنا . . . وفتحنا كتب التاريخ وبدأنا نقرأ تاريخ بلادنا المجيدة . . . ووقفنا على حقائق باهرة . . . لقد كانت الجزائر دائماً أمة مستقلة مجيدة . . . وكانت خيرات أرضها لأبناء الجزائر وكانت فيها شعب وأسطول وجيش وتجارة وعلم وفنون وخير عميم . . .

من إذاً الذى سلبها كل هذا ؟ أنه الاستعمار . . . وكيف نتخلص من هذا الاستعمار . . . لا بد أن نحاربه .. ونقضى عليه ونفعل المستحيل لنتخلص منه ! ..

وبدأت أول خطواتى الكفاحية على الطريق . . . فتحالفت مع الشيطان لأنقذ بلادى من قبضة الاستعمار الفرنسى ، واستمعت إلى الوعود المعسولة من الألمان . ..

قالوا لنا سنحرركم ... فحاربوا فى صفوفنا ... وقلنا لهم إننا نخاف أن نقضى معكم على الاستعمار الفرنسى فنقع فى قبضة استعماركم ! ..

فأجابوا علينا بأنهم سيمنحوننا الحرية بمجرد انتهاء الحرب وأقسموا على وعدهم ! . .

وخضنا المعركة إلى جانبهم . . . ولحقت بهم الهزيمة . . . وتخلوا عنا وفروا بخداعهم

وكذبهم .. . وبقينا نحن نواجه فرنسا وحدنا .. . وجاءت فرنسا فحكمت علينا بالإعدام .. .. واستطعت أن أفر من السجن .. إلى مصر ..

وفى مصر العزيزة وقفت على جانب كبيرمن الحقيقة...عرفت أن كفاحى السابق كان كفاحا « فاشيا » وأن ألمانيا مثل فرنسا ومثل كل الوحوش الضارية الأخرى التى تستعمر جنوب أفريقيا وقبرص وتعقد الأحلاف العسكرية من أجل القضاء على الشعوب و بقاء استعمارها ! ..

ومن هنا بدأت أحقد على كل القوى الاستعمارية فى العالم و بدأت كفاحى كواحد جزائرى شريف يريد الحياة لبلاده ولكل الشعوب الأخرى المحبة للسلام ...

من هنا بدأت أفهم أن لا ألمانيا ولا فرنسا ولا بريطانيا ولا أمريكا تستطيع أن تحرر بلادى .. . إن بلادى تحررها ثورة .. ثورة جزائرية صميمة منبثقة من أعماق الشعب الجزائرى .. ومستمدة من كفاح أجدادى وتراثهم المجيد .

وهكذا انتظمت فى ركب الحرية الواعى .. وأخذت مكانى بين الملايين الذين صمموا بعزم و إصرار على طرد فرنسا ونفوذها وعفونتها ورجعيتها من أرض بلادى .

وهكذا سأظل دائماً أسير فى الطريق خلف الكلمة الشريفة التى أعلنها جيش التحرير الوطنى وجبهة التحرير الوطنى ولو أدى ذلك بى إلى المشنقة ! ..

هكذا سأظل أسير على الطريق الواعى المفروش بالنور .. لا هدنة ولا هوادة مع العدو .. بل قتال وقتال .. ولا تفاهم ولا مفاوضات

إلا على أساس الكلمة الشريفة التى أعلنتها جبهة التحرير . ومع جبهة التحرير نفسها ..

هكذا سأظل أسير .. . وهذا الكتاب هو أول خطوات كفاحى الواعى فى سبيل تحرير بلادى ففيه وضعت خلاصة الحقيقة التى تعلمتها فيه حقيقة بلادى .. . تاريخها المجيد قبل الاستعمار شعبها .. علومها .. فنونها .. تجارتها .. خيراتها . ..

وفيه حقيقة بلادى الآن ... وحقيقة ما فعله الاستعمار بها وكيف داس على كل مقدساتها وقضى على كل مقومات شعبها ... سلبه القوت ... والعلم . والعمل ... ونحه الفقر ... والجهل ... والمرض ... ولكنه لم يستطع أن ينال من عزمه على التحرير شيئاً لم يستطع أن يقض على القيم الأخلاقية الجميلة التى تعيش فى قلوبنا نحن أبناء الجزائر الخضراء ... لم يستطع أن يجردنا من حب بلادنا وحب عروبتنا وحب إنسانيتنا ! ..

فيه أيضا وضعت خلاصة فهمى لحقيقة الاستعمار ولماذا يبقى فى أرض بلادى ..

فى هذا الكتاب المتواضع وضعت خلاصة فهمى لموقف الاستعمار العالمى من قضية بلادى .. وكيف يتفق هذا الاستعمار وكيف يتناقض ويتنافس على أرض بلادى ! ..

فيـه حقيقة المؤامرات التى ترتكبها عصابات الإمبريالية العالميـة على شعبى الحر ...

وفيه حقيقة ثورتنا المقدسة .. وموقف الأبطال وتاريخ الرجال الذين انبثقت الثورة من بين أيديهم ... ومنهم من انحرف ومنهم من بقى على الطريق يكافح بصلابة خلف الكلمة الشريفة التى أعلنها جيش التحرير وجبهة التحرير ... ومنهم من ترجم الكلمة الشريفة إلى عمل إيجابى فحمل سلاحه وذهب إلى قلب المعركة ومات من أجل الكلمة الشريفة ! ..

وفيه أيضاً كل الكلمات النظيفة التى قالها شرفاء العالم من أجل بلادى ...

فيه وضعت خلاصة الحدث التاريخى العظيم (باندونج) وموقف شعوبها الحرة من قضية بلادى ...

وفيه كلمة الشرف التى قالها الأقطاب الثلاثة فى (بريونى) من أجل الجزائر ...

وفيه كل كلمات الشرف الأخرى التى قالها الشرفاء من أجل وطنى الثائر ..

وفيه أيضاً طريقنا إلى الخلاص من الاستعمار ... وكيف نمضى فى هذا الطريق ... وكيف أن كفاحنا المجيد هو وحده الذى سيوصلنا إلى الحرية ...

أنها الحقيقة ... حقيقة الجزائر ... أقدمها لكل من يريد أن يعرفها ... ولكل من أعمتهم الدعاية الاستعمارية فضلوا الطريق ... ولكل من انحرفوا عن الطريق ولوحوا بتصريحات كلها مساومة وكلها عروض ! -

أنها الحقيقة أقولها من أجل شعب الجزائر ... ومن أجل السنوات التى ضاعت من عمرى وأنا أكافح فى الظلام !

أنها الحقيقة أقولها من أجل ألوف النساء المشردات فى بلادى .. وربما كانت من بينهم أختى .. أو أمى ..

أنها الحقيقة أقولها من أجل ملايين الأطفال الذين يأكلون التراب ويخافون من المستقبل الأسود الذى يعده لهم الاستعمار وأنصار الاستعمار . والسادة الذين يملكون الضياع والخزائن فى أرض الجزائر . .

أنها الحقيقة أقولها من أجل شعبى . . . وكل الشعوب الحرة التى تكافح بشرف ... وتسير خلف الكلمة الشريفة دائماً !

أنها الحقيقة أقولها من أجل الصيحة التحريرية العظمى التى دوت فى القاهرة ... وأصبحت سهما يشير إلى طريق الخلاص « سنكافح من أجل تحرير بلادنا ... وسنكافح من أجل تحرير عروبتنا .. من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسى »

أنها الحقيقة أقولها من أجل كل الشرارات الحرة التى تجمعت على طريق الحرية كالبركان ...

أنها الحقيقة أقولها من أجل مستقبل بلادى . واستقلالها وكيف يكون هذا الاستقلال ...

أنها الحقيقة أقولها من أجل الوصول إلى استقلال حقيقى لبلادى ... استقلال لا تحده شروط ... ولا تقيده معاهدة خبيثة ...

استقلال يجعل من الجزائر دولة حرة أرضها للجزائريين ، وخيراتها للجزائريين وصداقتها لكل الشعوب الحرة المحبة للسلام .

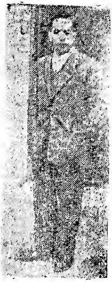
عبد الحميد مسعود الجزائرى



أحمد بن بيلا



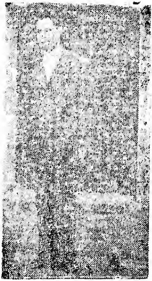
عميل الرجعية الجلاد .. لاكوست



محمد خيضر



حسين آية أحمد



مصطفى الأشرف



محمد أبو ضياف

(١)

الجزائر قبل الاستعمار

هل كانت الجزائر قبل سنة ١٨٣٠ أى قبل أن يدخلها الاستعمار دولة مستقلة لها كافة الحقوق والسيادة أم كانت كما يدعى الاستعمار الفرنسى جزءا من فرنسا نفسها ؟ . . إن التاريخ وحده هو الذى يستطيع الإجابة على هذا السؤال .

والجزائر كدولة تقع على البحر الأبيض المتوسط وتحتل منه موقعاً بارزاً ما كان لها أن تبقى بمنأى عن تيارات التاريخ الكبرى التى دارت حول شواطىء البحر الأبيض منذ أقدم عصور التاريخ .

ولقد كان للمغرب العربى منذ الأزمنة البعيدة صلات كبيرة بشعب مصر الفرعونى وأخذت هذه الصلات أشكالا عديدة ولها من الآثار ما يدل عليها حتى يومنا هذا فى كل نواحى الحياة وخاصة الحياة التجارية التى كانت من أبرز أوجه النشاط بين البلدين .

ثم جاء الفينيقيون بعد ذلك فعقدوا الصلات التجارية وأقاموا الموانئ على شواطىء المغرب لغرض التجارة وأنشأوا مدينة من أجمل المدن وهى « قرطاجنة » التى نافست روما مدة طويلة من الزمن ثم جاء الرومان من بعدهم فدمروها وجعلوا من شمال أفريقيا ولاية رومانية كما جعلوا من أغلب دول العالم ولايات تابعة لإمبراطوريتهم ومن بين هذه الدول بريطانيا وألمانيا واليونان وفرنسا نفسها ! .

وبقى المغرب أربعة قرون كاملة يصارع الغزو الرومانى وحده ودون أى ارتباط بفرنسا إلى أن جاء بعد الرومان غزاة آخرون من الواندال والبيزنطيين قبل ظهور الإسلام مباشرة ، وقدر للمغرب فى ذلك الوقت أن يناضل هذا الغزو ويقاومه ويقف فى وجهه إلى أن ظهر الإسلام وزحفت جيوش العرب إلى مصر ومنها إلى المغرب العربى ففتح المغرب ذراعيه للدين الجديد ورأى فيه بشير الخلاص إذ أنه كان يعيش فى ذلك الوقت فى ظل مجتمع عبودى لا يعرف من حقوق الإنسان شيئا . . . وكل ما على الأرض كان ملكا للغزاة . . وجاء الإسلام بتعاليمه التى تتحدث عن الحقوق والشرف والديموقراطية . . فكان هو طريق الخلاص من قبضة العبودية والبربرية ! .

وعاش الإسلام فى المغرب العربى وزحفت حضارة العرب عليه فغيرت الكثير من معالم مجتمعه وبنت بالفعل مجتمعاً جديداً قدر له فيما بعد أن يخلق جيشاً قوياً قاده طارق بن زياد وفتح به أسبانيا وخلص أهلها من الطغيان وأطلق اسمه على جبل طارق . ثم تعاقبت بعد ذلك فتوحات المغرب وأصبح قبلة الحضارة فى ذلك الوقت ونهض شعبه من عثرته التى ألقاه الطغاة فيها .

ومنذ ذلك التاريخ حكمت المغرب سلالات مجيدة منها بنو الأغلب الذين شيدوا جامع الزيتون فى تونس وأصبح فيما بعد جامعة كبرى كما شيدوا جامع القيروان وجاء بعدهم الفاطميون الذين فتحوا مصر وأقاموا فيها خلافة ودولة كبرى . . ثم جاء بعدهم الموحدون .

ولما جاء القرن الخامس عشر انقسمت إمبراطورية الموحدين إلى عدة ممالك وظهرت لأول مرة تلك الوحدات السياسية المعروفة إلى اليوم باسم « مراكش ، الجزائر ، تونس » .

وفى ذلك العصر ظهر فى تونس أول مؤرخ عصرى عرفه العالم وهو ابن خلدون .

ومع ظهور هذا المؤرخ العظيم زالت دولة العرب والمغاربة وراح ملوك البرتغال وأسبانيا يستعينون بفرنسا وأوروبا فى شن غارات النهب والسلب والتخريب على الشاطىء الأفريقى فلم يجد المغرب العربى أمامه سوى الاستنجاد بتركيا لحماية شواطئه الطويلة من المعتدين الذين أغاروا عليها وكانت الخلافة الإسلامية فى ذلك الوقت مقرها تركيا .

ومنذ ذلك التاريخ ظهرت دولة « الجزائر » بصورتها الحالية وحدودها الراهنة وراحت تهتم بالقوة البحرية على الخصوص فتمكنت بعد فترة وجيزة من السيطرة على غرب البحر الأبيض المتوسط سيطرة تامة زهاء ثلاثة قرون وعاشت الجزائر حتى مطلع القرن التاسع عشر دولة حرة قوية موحدة تخطب الدول ودها .

إذن فقد كانت الجزائر دولة مستقلة قبل أن يدخلها الاستعمار الفرنسى المشئوم فى سنة ١٨٣٠ وهو وضع يقف فى وجه الدعاية الاستعمارية الفرنسية ويكذبها ويفضح سرها .

ولكى يكتمل هذا البحث يجب أن ندرس سوياً الأوضاع الداخلية للجزائر قبل دخول الاستعمار الفرنسى لنخرج منه بأن الجزائر كانت دولة ذات سيادة ولها حكومة منظمة ونظام إدارى وعلاقات دبلوماسية وسياسة خارجية ولها أسطولها ومدارسها وميزانيتها وشعبها ! .

ولنرجع إلى التاريخ مرة أخرى للتدليل على كل هذه الأوضاع .

يقول التاريخ أنه كانت للجزائر حكومة مقرها مدينة « الجزائر » نفسها وعلى رأسها « الداى » وله وزراء أحدهم للبحرية والخارجية والآخر وهو الأغا للحربية وثالث وهو الخزنجى للداخلية والمالية ورابع للأملاك الأميرية ويسمى « خوجة الخيل » وخامس وهو شيخ الإسلام ويتولى أمور الشرع والقضاء وسادس هو الباشكاتب ويعمل سكرتيراً للداى .

ويقول التاريخ أيضاً أن الجزائر لم تكن خاضعة فى وقت من الأوقات لأوامر سلطان اسطنبول فالعلاقة بين الجزائر والباب العالى كانت على الدوام علاقة دولتين لا علاقة تابع بمتبوع ولئن كانت هناك صفة خاصة لسلطان اسطنبول فهى ناجمة عن كونه خليفة المسلمين فله الرئاسة الدينية على كل دوَل الإسلام فى ذلك الوقت .

وَإذا كنا قد استعنا بالتاريخ وحده حتى الآن للتدليل على هذه الأوضاع فيمكننا أيضاً أن نستعين بالكتب التى وضعها الفرنسيون أنفسهم حتى تكمل الشكل المنطقى لهذه الأوضاع .

يقول (ش . جوليان) فى كتابه « تاريخ شمال أفريقيا » .

« لقد انسلخت ولايتا الجزائر وتونس فى القرن السابع عشر عن الدولة العلية كل الإنسلاخ .. فصارت للجزائر حكومتها المستقلة التى لا تربطها بتركيا إلا الرابطة الروحية التى تربط كل أمم الإسلام بخليفة المسلمين . فكان للجزائر من الحرية السياسية أكثر مما لأى دولة من الممتلكات البريطانية المستقلة فى الوقت الحاضر ولم يكن هناك تمايز جنسى بين الأتراك والجزائريين

لأن الشعبين يدينان بالإسلام الذى يناهض كل تفرقه عنصرية فنبى المسلمين هو القائل (المؤمنون أخوة) .

ولو رجعنا إلى التاريخ مرة أخرى لوجدنا أن من يراجع قائمة أسماء (الدايات) وتاريخ حياتهم يجد الدليل القاطع على أن العدد الأكبر منهم كان من أصل جزائرى وأن حسن باشا خليفة الداى التركى خير الدين — الأميرال التركى الذى حمى شواطىء المغرب من غزوات البرتغال كما سبق أن وضحنا — جاء نتيجة زواج خير الدين من جزائرية صميمة !

ويقول التاريخ أن الجزائر كانت دولة معترفا بها من جميع دول العالم بل كانت تتسابق إلى طلب ودها لأنه كان معترفا لها بالسيادة فى البحر الأبيض المتوسط وفى سبتمبر سنة ١٧٩٥ عقدت محالفة سلم وصداقة مع الولايات المتحدة الأمريكية تضمنت التصريح للسفن الأمريكية بممارسة التجارة مع الجزائر مقابل دفع الرسوم المعتادة ، وإعفاء الأدوات البحرية والحربية من هذه الرسوم على أن يصرح للسفن الجزائرية بمثل ذلك مقابل جوازات سفر تمنح لها من القنصل الأمريكى .

ويؤخذ من كتاب (الأمريكيين والبربر) الذى وضعه ديبوى فى سنة ١٨٢٤ أنه فى ١٢ أبريل سنة ١٨١٥ أعلنت الجزائر الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية بسبب سوء استغلال أمريكا للاتفاقية السابقة وأرسل الرئيس الأمريكى (جميس ماريسون) إلى الداى خطابا هذا نصه « لقد أعلنتم سموكم الحرب على الولايات المتحدة ، وقد قرر الكونجرس فى اجتماعه الأخير إعلان حالة الحرب مع حكومتكم وكلف أسطولا من بوارجنا بالتوجه إلى

البحر الأبيض المتوسط لتنفيذ ذلك القرار ، وسيكلف هذا الأسطول بتخييركم بين الحرب والسلام وأنتم وما ترون ولنا وطيد الأمل أن توازنوا سموكم بين ويلات الحرب ومزايا حسن التفاهم مع دولة تزداد قواتها مع الزمن ، فتجنحوا إلى استئناف ما كان بين الحكومتان من علاقات الود والصداقة .. فليس لحكومتنا هدف إلا السلام والصداقة مع الجميع . . »

وأجاب الداى عمر باسم الحكومة الجزائرية على ذلك الخطاب بعد أن عين شروط الصلح قائلا : وإنى أبلغكم رغبة حكومتى فى استئناف علاقات الصداقة التى ربطت بين بلدينا منذ أكثر من عشرين سنة ولا سيما أن أمريكا كانت أول بلد عقدت حكومتى معها معاهدات سلام ونتمنى بعون الله أن يأتينا ردكم سريعا بالموافقة على شروطنا الموضحة آنفا ، أما إذا أبيتم الموافقة عليها فإنكم تتحملون وزر خرق قوانين الإنسانية المقدسة والاعتداء على مواثيق الأمم » .

وقد رضخت أمريكا لشروط الداى وتم الصلح !

إذاً فقد كانت هناك حكومة تملى إرادتها وتعقد المعاهدات وتعلن الحروب وتدافع عن مصلحة الجزائر دون الرجوع إلى تركيا أو فرنسا أو أى بلد من بلدان العالم .. ومثل هذه الحكومة تسمى حكومة مستقلة ولا يمكن أبدا أن تسمى تابعة أو خاضعة أو واقعة تحت سيطرة دولة أخرى .

وليس هذا فقط .. فمن الممكن أيضا أن نضع علاقة الجزائر بفرنسا قبل الاستعمار موضع البحث وسنخرج منها بنفس النتيجة فقد كانت فرنسا فى ذلك العهد تعترف بالجزائر كدولة مستقلة وكانت المسائل الجزائرية ليس

مكانها كما هو الحال الآن فى وزارة الداخلية الفرنسية بل فى وزارات الخارجية والحربية والبحرية !

وترجع العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وفرنسا إلى الوقت الذى جاء فيه إلى الجزائر أول قنصل فرنسى وذلك فى سنة ١٥٦٤ ففى القرن السادس عشر كانت هناك محالفة بكل معنى التحالف بين الجزائر وفرنسا وبمقتضى هذه المحالفة استنجدت فرنسا بالأسطول الجزائرى لحماية شاطئها من العدو المشترك فى ذلك الحين وهو أسبانيا وملكها (شارلكان) ، وفى سنة ١٧٩٨ بلغت ديون فرنسا للجزائر عدة ملايين من الفرنكات فهل يمكن أن يحدث هذا والجزائر جزء من فرنسا كما تدعى ؟

وهل يمكن أن تمد الجزائر المعونة لبلد كفرنسا إلا إذا كانت تقف إلى جانبها على قدم المساواة وتضارعها كدولة ؟

إن فرنسا التى تتحدث عن الجزائر الآن كجزء منها تعلم جيدا أن تاريخ الجزائر حافل بالسيادة والاستقلال ، ويكفى للتدليل على ذلك أن نقول إن أسطول الجزائر البحرى كان فى وقت من الأوقات أقوى أسطول فى البحر الأبيض المتوسط وعندما كانت الحالة فى هذا البحر يسودها الاضطراب والفوضى من جراء أعمال القرصنة كان أسطول الجزائر يتولى حماية سفن البلدان الصديقة وكانت هذه الدول تعمد إلى دفع أتاوات معينة للجزائر نظير حماية سفنها وقد ظل هذا النظام قائما إلى عهد الاحتلال الفرنسى !

وحتى بريطانيا سيدة البحار كانت كلما غيرت قنصلها فى الجزائر ترسل مع القنصل الجديد ستمائة جنيه ذهبا كهدية لحكومة الجزائر نظير حماية سفنها من غارات القراصنة !

وكانت هذه القاعدة متبعة أيضا مع سائر الدول الأخرى فكل دولة كانت تغير قنصلها ترسل مع القنصل الجديد الهدايا للحكومة الجزائرية وتختلف هذه الهدايا بحسب مكانة الدولة وبحسب الأخطار التى يتعرض لها أسطولها .

وقد سقنا هذا الدليل الأخير لندلل به على أن فرنسا عاشت قرون طويلة فى حماية الأسطول الجزائرى وأنه من غير المعقول أن يكون للجزائر كل هذا السلطان ثم تقول أنها كانت جزءا من فرنسا . بل لعل العكس هو الصحيح فإذا كان هناك تابع ومتبوع فإن فرنسا تصبح هى التابع فى هذه الحالة .

* * *

وإذا كنا قد تحدثنا عن استقلال الجزائر وسيادتها قبل دخول الاستعمار الفرنسى فيجدر بنا أن نتحدث أيضا فى هذا الفصل عن حالة شعب الجزائر قبل الاستعمار وعن مستوى معيشته ونهضته التى كانت قائمة فى ذلك الوقت ثم نعرج على الحالة فى الجزائر بعد الاستعمار حتى نخرج من بحثنا بالنتائج القاطعة على سوء استغلال فرنسا للجزائر ، واستنزافها لدماء الشعب الجزائرى على طول السنين المديدة التى عاش فيها الاستعمار فوق الأرض الثائرة .

كان شعب الجزائر فى القرن الثامن عشر شعب زراعى بمعنى الكلمة وكانت حقول الغلال والشعير والقمح تمتد على طول المدى فى ولاية قسنطينة المعروفة برخائها وخصوبتها فى ذلك الوقت !

وكانت وفرة المحصول الذى تجود به أرض الجزائر عاملا كبيرا فى رفاهية الفلاح الجزائرى وأفراد القبائل الذين كانوا يتمتعون بالمعيشة بين الحدائق الغناء التى كانت تبلغ فى مجموعها عشرين ألفا من البساتين !

ذلك فضلا عن غلات المحصول الوفيرة التى كانت تجنى ثلاث مرات فى السنة ، وهى ظاهرة لا توجد إلا فى أخصب الأراضى الزراعية !

وقد شقى الفلاح الجزائرى على مر السنين قبل أن يدخل الاستعمار الفرنسى أرضه ، شقى حتى استطاع أن يحصل على هذه النتائج الباهرة بكده وبعرقه ثم ليتركها من بعده لأولاده وأحفاده من الجزائريين ، ولكنها آلت من بعد كل هذا المجهود الجبار إلى يد الاستعمار ، وتبجح الفرنسيون فزعموا أنهم تسلموا أرض الجزائر قاحلة يعلوها الملح وأنهم لاقوا صعوبات جمة فى سبيل جعلها على هذه الصورة ! فياله من تبجح ! ؟

* * *

ولنترك الزراعة إلى الميادين الأخرى . . إلى التجارة والصناعة والعلوم والفنون . .

كما كان للجزائر أسطولها البحرى الضخم الذى يعول عليه فى كل شىء كان لها أيضاً أسطولها التجارى الذى يحمل إلى خارج حدودها خيرات البلاد الفائضة عن حاجة الاستهلاك المحلى ، فكانت الغلال والتين والزيتون والتمر والنحاس والخشب والزيت والصوف والشمع والماشية والمواد الغذائية هى المواد الرئيسية التى تصدرها الجزائر إلى بلدان كثيرة وذلك لوفرتها وكثرة إنتاجها .

وبذلك عقدت الجزائر كثيراً من الاتفاقيات التجارية مع معظم دول العالم وكانت بالنسبة لكثير من هذه الدول المصدر الأساسى للمواد الغذائية .

وعمل أسطول الجزائر التجارى فى كل بحار الدنيا ودخل الموانىء الفرنسية والإنجليزية والأمريكية والمصرية والسودانيـة وهو يحمل الخير العميم لها .

وكانت حاصلات التربة الجزائرية تستغل فى أعمال الصناعة على أوسع نطاق ، وكذلك ما استخرجه الجزائريون من باطن الأرض من المعادن كالنحاس والحديد وكانت تصنع منهما الأسلحة والتحف .

ولم تـكن تخلو مدينة جزائرية واحدة فى ذلك الوقت من المصانع والورش والدكاكين الصناعيـة كما كانت غابات بنى عمروس و بنى منصرره تزود الترسانات بالخشب اللازم لصناعة السفن والأساطيل وهى صناعة برع فيها أبناء الجزائر وفاقوا فيها أكبر دول العالم فى ذلك الوقت .

وكان من الطبيعى أن تنشط حالة العلوم والفنون إلى جانب نشاط الحالة الاقتصادية وارتفاع مستوى المعيشة بين أفراد الشعب يدفعه إلى التعليم والإقبال على الثقافة بكل قوته .

ولقد كانت فى الجزائر مدارس عديدة قبل أن يدخلها الاستعمار الفرنسى وفى القرنين الرابع عشر والخامس عشر حفلت مدن الجزائر بمراكز ثقافية هامة . . وكان فيها أساتذة وعلماء وفلاسفة فى كل النواحى والفنون .

وكانت (تلمسان) ذات الشهرة العلمية العظيمة هى قبلة الطلاب ، يتدافعون إليها ليظفروا بالحضور على أساتذتها الأعلام و إلى جانب (تلمسان) كانت هناك عشرات المدارس فى مختلف المدن الجزائرية كمدرسة سيدى أبى مدين ذات الشهرة العلمية الفائضة .

و بلغ عدد المدارس أ كثر من ألف مدرسة ابتدائية وثانوية وعالية .

ومع هذه النهضة العلمية الزاهرة نهض الفن فى الجزائر واتسع نطاقه وأصبح يضارع أ كبر الفنون الأخرى فكم من قصور جميلة وحمامات بديعة ومدارس ومساجد انتشرت فى ذلك الوقت فى كل مكان من أرض الجزائر .

وكان فن العمارة فى مقدمة الفنون الأخرى وتبلور هذا الفن فى بناء المساجد ففى مدينة الجزائر وحدها بنى أ كثر من مائة مسجد تتنافس فى الروعة والإبداع ، ومن أهمها مسجد « على بتشيم » ومسجد « كتشادة » ومسجد «الخوخة» ومسجد « سيدى الأخضر » ومسجد «سيدى الكتانى» و بعض هذه المساجد حولها الاستعمار الفرنسى إلى دور عبادة أخرى لفرط إعجاب الفرنسيين بها ! !

* * *

هذا هو حال الجزائر قبل أن يدخلها الاستعمار الفرنسى ، وقبل أن تلوث أرضها بأقدام المحتل ، كانت أمة لها كل مقومات الحياة والسيادة ، وكان شعباً له حياته الخاصة وتقاليده العريضة الضاربة فى أعماق التاريخ .

وكان يمكن لكل هذه الإمكانيات الباهرة أن تتطور وتندفع مع الزمن إلى الأمام إذا لم تقف أمامها السدود والحواجز ، ولكن الاستعمار الفرنسى أبى أن يترك شعب الجزائر يمضى مع الزمن إلى الأمام ففرض نفسه عليه . ودخل أرض الجزائر فى سنة ١٨٣٠ فماذا فعل فى كل هذه الطاقة البشرية الكبيرة ؟.

فى الفصل التالى سنعرف ماذا فعل الاستعمار فى الجزائر .

(٢)

الجزائر في ظل الاستعمار

دخلت جيوش الملك شارل العاشر إلى أرض الجزائر وهى مزودة ببرنامج تخريبي كامل ، فقد كانت فرنسا تعرف الأسباب الرئيسية الحقيقية لحلتها على الجزائر ، وهذه الأسباب تتلخص فى :

- نهب الثروات التى كانت تجود بها أرض الجزائر الخضراء .
- التهرب من دفع ديون فرنسا للجزائر والتى بلغت فى ذلك الوقت عشرات الملايين من الفرنـكات .

وكان لا بد لجيوش الاستعمار أن تنفذ برنامجها التخريبي أولا وقبل كل شىء حتى يمكنها بعد ذلك أن تتوغل فى داخل البلاد . . ثم تقيم بعد ذلك حكمها الاستعمارى لعشرات السنين .

وعندما دخلت جيوش فرنسا مدينة الجزائر ذاتها شرعت على الفور فى إجراء عمليات السلب والنهب واستطاعت أن تحصل على غنائم عديدة شجعتها على مواصلة التوغل فى الأراضى الجزائرية ولا سيما أن فرنسا فى ذلك الوقت كانت فى حالة نمو صناعى وكانت مصانعها فى حاجة إلى مزيد من المواد الخام فوجدت فى أرض الجزائر أحسن حل لهذه المشكلة وسرعان ما حددت الحملة الفرنسية على الجزائر هدفها وهو يتلخص فى انتزاع خيرات

البلاد من أيدى أهلها والاستيلاء على الأراضى نفسها ومطاردة السكان العرب إلى الصحراء .

ولقد حقق الاستعمار برامجه التى ترمى إلى استعباد الجزائر واستغلالها من الناحية الاقتصادية تماماً .

فالزراعة الآن معظمها فى يد المستعمرين الذين يملكون أخصب الأراضى التى سلبوها من الشعب الجزائرى .

ويؤخذ من التقارير الاحصائية التى يضعها المستعمرون أنه فى سنة ١٩٣٦ بلغ ما يملكه أربعون ألفا من الفرنسيين من أراضى الجزائر ٤٠٠ ألف هكتار فى حين أن ٦٨٧٫٠٠٠ مالك جزائرى يملكون مليونين و٣٠٠ ألف هكتار فقط !

كما يؤخذ أيضا من نفس الاحصائية أن ٢٥٫٧٩٥ معمرا فرنسياً يملكون ما يربو على ٣٠٪ من العقار بينما نجد الـ ٧٠٪ الباقية موزعة على مليونين و١٠٩٧٤٢ فلاحاً جزائرياً .

ومعنى هذا أن التملك الفرنسى يشمل المقاطعات الواسعة بينما لا يملك الجزائريون إلا القطع الصغيرة !

ولقد اتبع الملاك الفرنسيون طريقة خبيثة فى زراعة هذه الأراضى أدت إلى خفض غلاتها من المحاصيل الغذائية ، فى الوقت الذى انتشرت فيه زراعة الكروم والتبغ وقشر السنديان والحلفاء لتصديرها إلى الخارج وبهذا أصبح شعب الجزائر الذى كان يعيش فى رخاء بماتدره عليه أرضه أصبح لا يملك قوت يومه !

وتدهورت — تبعاً لذلك وللأساليب الخبيثة التى يتبعها الاستعمار — تربية المواشى وأصبحت قليلة الفائدة بسبب إلغاء معظم المراعى وفرض الضرائب العالية التى يطلبها المستعمرون ليسمحوا للمواشى بالمرعى فى أراضيهم بعد الحصاد !

وكان لا بد أيضاً من أن تموت الصناعة الجزائرية فى مهدها بسبب منافسة الصناعة الفرنسية لها ، فقد أدت عملية إغراق الأسواق الجزائرية بالسلع الفرنسية إلى غلق المصانع والورش فى مختلف أنحاد البلاد ، وتوقفت الصناعات الجزائرية اليدوية تماماً عن العمل وأصبح أهلها بلا عمل !

وكان من الطبيعى أيضاً أن يحتكر المستعمرون الملاحة التجارية الجزائرية والمبادلات التجارية الخارجية وبذلك ضمنت فرنسا السيطرة تماماً على كل الأجهزة التى تتعامل الجزائر بمقتضاها مع دول العالم الأخرى ، فقضت على كثير من بيوت التجارة الجزائرية وسيطرت على السوق المالية وأصبح الفرنسيون وحدهم يسيطرون على البنوك يعاونهم فى ذلك حفنة من اليهود الآفاقين ، واختفت بذلك كل الفرص أمام التاجر الجزائرى وأصبح متعطلا تماماً عن العمل ، حتى أنه أصبح لا يملك فرصة العمل داخل بلاده وتنظيم تجارة محلية بسيطة بسبب منافسة المتاجر الفرنسية الكبرى التى يسندها رأس المال الكبير !

وتبعاً لهذا كله انتشرت البطالة بين الشعب الجزائرى ، فاغتصاب الأراضى وهدم الصناعة المحلية مع دخول عدد كبير من أبناء المستعمر إلى الأراضى الجزائرية كل هذا سلب أهل الجزائر فرصة العمل ، فانتشرت البطالة بين مختلف

طبقات الشعب الجزائرى وأصبحت البلاد تعانى أزمة حادة إذ يبلغ عدد المتعطلين من أبناء الجزائر مليونين !

وهذا العدد الكبير من المتعطلين كفيل وحده بإحداث ثورة بل ثورات ولهذا لجأ الاستعمار الفرنسى إلى عمل من أخطر الأعمال ألا وهو إبادة أكبر عدد من هؤلاء العمال والفلاحين المتعطلين وكم من الجرائم ارتكبها الفرنسيون ضد هؤلاء العمال فقتلوا منهم الآلاف رمياً بالرصاص ومع هذا فما زال العمال الجزائريون يعانون من البطالة و يعيشون فى حالة مظلمة من البؤس والفاقة !

ولقد ثبت لنا من كل ما ارتكبه الاستعمار الفرنسى فى الجزائر أن جوهر هذا الاستعمار قائم على الاقتصاد فقد دخلت فرنسا إلى الجزائر من أجل البحث عن المواد الأولية لتشغيل المصانع الفرنسية و بذلك أفلست كل إمكانيات الشعب والأرض .

ولهذا السبب وحده يحرص الاستعمار الفرنسى على مصالحه الاقتصادية ، ويقاوم كل تطور يطمح إليه الشعب فى الميدان الاقتصادى بصفة خاصة والبرنامج الذى رسمه الاستعمار من أجل ذلك يتلخص فى :

- إنشاء اقتصاد استعمارى تكميلى للاقتصاد الفرنسى نفسه .
- وضع جميع الثروات المحلية فى يد حفنة من الاستعماريين .
- إقصاء أبناء الشعب عن إدارة بلادهم .
- عدم السماح لجماهير الشعب بالتدخل فى هذا الاقتصاد إلا كآلة موضوعة فى يد المستعمرين أنفسهم لاستغلالها !

ولقد نجح الاستعمار الفرنسى فى تنفيذ هذا البرنامج بدقة ، فوضع الشعب الجزائرى داخل قفص من الفولاذ ولم يسمح له بالتنفس على الإطلاق ، ولقد

بلغ من حرص الاستعمار على مصالحه الاقتصادية أن أقام سياسة الإرهاب والقمع الاقتصادى وهى سياسة تقضى برفض منح أبناء الجزائر تصاريح الاستيراد والتصدير وقصرها على الفرنسيين واليهود . كما تقضى بفرض ضرائب فادحة على متاجر الجزائريين من الأهالى وتصفية المؤسسات الجزائرية الناجحة مثل مصانع المياه الغازية و إحلال مصانع الكوكا كولا الأمريكية بدلا منها !

ولا يقف الإرهاب والقمع عند هذا الحد بل يتعداه إلى فصل الموظفين والعمال الوطنيين وعدم تشغيل أبناء الجزائر المخلصين ومنح الأذناب الوظائف والرشوة ! !

و إذا كانت فرنسا تدعى أن الجزائر جزءاً منها فإن هناك مشكلة كبيرة وهامة توضح لنا مدى كذب هذا الادعاء .

وهذه المشكلة ترجع بنا إلى يوم ٢٢ يوليه عام ١٨٣٤ وهو اليوم الذى أعلنت فيه فرنسا مرسومها الذى حول الجزائر من بلاد محتلة إلى ممتلكات فرنسية ، وكان هـذا المرسوم هو المشكلة نفسها إذ بدأت سياسة التفرقة العنصرية تعمل منذ إعلان هذا المرسوم ضد الجزائريين .

وكانت مهمة المشرع الفرنسى تسير دائماً على مبدأ منح الفرنسيين مجالا واسعاً فى القوانين المتعلقة بإعلانهم حقوق الإنسان والمواطن وأن يكون أبناء الجزائر بالنسبة للمستعمرين فى مقام التابع للمتبوع .

وكان الجنرال الفرنسى بوجو يحدد هذه السياسة على الوجه الآتى :

« قبل أن نحكم ونستعمر يجب على الشعب أن يقبل قوانيننا وهناك ألف دليل على أن الشعب الجزائرى لا يقبل هذه القوانين إلا بالقوة وهذه القوة

تظل عاجزة إذا لم تؤثر على الأشخاص والمصالح ، فإذا واصلنا مراعاة الشعور الإنسانى ربما تظل الحرب فى إفريقيا قائمة إلى الأبد وبهذه الطريقة لانستطيع الوصول إلى هدفنا » !

وبهذه الطريقة فرضت التشريعات الفرنسية المتعسفة على شعب الجزائر ، وكان المستعمر يلاحق الشعب الجزائرى كل يوم بمزيد من التشريعات التعسفية كلمادعت مصالحه إلى ذلك !

والظاهرة الغريبة التى يمكن أن نخرج بها من هذه التشرعات أن المشرع الاستعمارى ركز كل هدفه فى الضغط على الشعب الجزائرى وتمييز الفرنسيين والأجانب الذين يعيشون فى الجزائر عن أهل البلد الأصليين من الجزائريين وخاصة المسلمين منهم وبذلك لم تسلم حرية الإنسان فى الجزائر على الرغم من جميع الضمانات الممنوحة من نظام الجزائر والدستور الفرنسى وميثاق الأمم المتحدة .

ولا تزال حرية الفرد عرضة للامتهان ولا يزال الضرب المبرح معمولا به فى أقسام البوليس ضد شعب الجزائر ، ورائد الفرنسيين حتى يومنا هذا هى عبارة غريبة لا ندرى كيف يمكن أن تقبل فى القرن العشرين ، تلك العبارة التى تقول : « إن العربى كذاب ولا يقول الحقيقة قط » وعلى أساس هذا المبدأ أصبح كل جزائرى مهما كان ذنبه عرضة لكل أنواع العسف والعنف والإرهاب !

وقد سرت هذه الروح العدوانية العنيقة فى كافة الميادين الأخرى

فوجدناها تدخل نظم الإدارة فى الجزائر وتقصى أبناء الشعب وتضع المستعمرين فى كل المناصب الرئيسية ، كما دخلت المجالس البلدية والمراكز البلدية وفرضت المستعمر فى معظم المقاعد بالقوة المسلحة .

وبهذه الطريقة المخالفة للديمقراطية أمكن للمستعمر أن يظهر أهل البلاد الأصليين والبالغ عددهم نحو عشرة ملايين بمظهر الأقلية بالنسبة للأقلية الاستعمارية البالغ عددها ٩٠٠ ألف نسمة وكان من الطبيعى أن ينجم عن ذلك أن ميزانيات القرى والمقاطعات ومنطقة الجزائر العاصمة لا تعود فائدتها إلا على الأقلية الفرنسية .

* * *

وإذا كنا قد وصلنا إلى هذا الحد من التعسف الفرنسى فجدير بنا أن ندعم كلامنا هذا بأقوال كبار القادة والصحفيين الفرنسيين والكتاب الذين كتبوا عن هذه المشاكل والذين ألقوا ضوءاً على كثير من أعمال الاستعمار الفرنسى فى الجزائر .

ويقول البارون (بيشون) الذى كان السكرتير المدنى الأول يوم الاحتلال فى كتابه « الجزائر تحت حكم الفرنسيين » :

إن ما يبعث على الأسف هو اتخاذ التدابير منذ الساعة الأولى لإبقاء بعض موظفى الدوائر الحكومية من الجزائريين فى وظائفهم ولو لمدة قصيرة . فقد كان لنفى جميع الموظفين الجزائريين تقريبا منذ اللحظة الأولى للاحتلال الفرنسى وكذلك جميع المشتغلين فى المصالح المدنية والعسكرية والدينية بدون أن يحصلوا على أى تعويض ، كان لكل ذلك أثر بالغ فى حياتهم المستقبلة

مما أثار لديهم شعور الرهبة والاشمئزاز ، وقد تركوا لنا فى حالة فوضى كاملة جميع مرافق البلاد المدنية والسياسية دون أن يكون لدينا من يوجهنا لناحية من النواحى » .

أما عن المساواة فى التعليم بين الفرنسيين والجزائريين فقد أعلن «تيرمان» الحاكم السابق للمجلس الأعلى عن وجهة نظر فرنسا الرسمية فى ذلك بقوله :

« لا يزال يتضح لنا من الاختبار أن المواطنين الذين نعلمهم التعليم الوافى هم الذين يبدون لنا الكثير من العداوة » .

وقد ورد فى تقرير رسمى لوزارة المعارف وضعه المفتش العام « هنرى يورجوا » عن التفرقة العنصرية من ناحية تعلم الأطفال الجزائريين جاء فيه :

« أن جميع الطلبة هم أبناء المستعمرين » وقد اعترف أحد المدرسين وهو يرتجف هلعاً أنه إذا قبل فى مدرسته أولاد الفلاحين والقرى فإن القسيس وهو صاحب النفوذ العظيم فى « تيزى أوز » هدده بأنه سينشىء مدرسة لمنافسته وعاونه العمدة الذى كان يحارب تعليم أولاد الجزائريين بشدة وعنف » !

واستطرد المفتش يقول فى تقريره « وقد قال لى مرة وكيل مدير عندما كنت أتحدث إليه عن ضرورة إغراء أولاد الوطنيين العرب بدخول مدارسنا « إن هذا الجنس يجب أن يزول » !

أما مسيو (مارسيه) مؤلف كتاب « الفن فى الجزائر » فيقول :

لقد كان أول واجبات سلطات الاحتلال الفرنسى فى نظرنا عندما استقر لها الأمر أن نعنى بالمحافظة على ذخائر الفن ، وأن ندرسها ، ولاسيما القديم منها ، فهل قامت فرنسا بهذا الواجب ؟ .. ترانا مضطرين إلى القول بصراحة أنها لم تقم بذلك الواجب ، الذى أدركه نابليون حين غزا مصر من قبل ، بل أنها فى كثير من الأحيان لم تكتف بالإهمال ، بل أباحت الهدم والتخريب والنهب لتلك الذخائر التى لا تعوض قيمتها الفنية والتاريخية » ! .

أما المواطن الفرنسى « بولار » فيقول أيضا : لقد أشاع دخول الفرنسيين فى الأوساط العلمية والأدبية اضطرابا شديدا فهجر معظم الأساتذة الأكفاء مقاعدهم العلمية هاربين من الإرهاب الذى شنه الاستعمار عليهم .. ولقد كان يقدر عدد الطلاب قبل سنة ١٨٣٠ ، قبل دخول الاستعمار ، بمائة وخمسين ألف طالب أو يزيد .. وكان عدد السكان فى ذلك الوقت أقل منه الآن !

وهذا مؤلف فرنسى آخر هو القومندان « رين » يعلن أن : الغزو الفرنسى جاء نكبة قاصمة على البلاد ، فلم يبق الغزاة على شىء من أماكن التعليم التى كانت ملحقة بأماكن العبادة ، لأنهم استولوا على تلك الأماكن وعاثوا فيها فساداً ، ولم يبق من المدارس القديمة إلا عدد صغير من المدارس الصغيرة ، لا يزيد عدد من يختلفون إليها عن ثلاثين ألف تلميذ ، هم أقل من خمس عدد التلاميذ الكلى ! » .

أما الصحفى الفرنسى « يولز سرنير » فيقول فى تحقيقه الصحفى الخطير عن الجزائر ما يلى :

« وكأن بنى جلدتى قد انقلبوا إلى وحوش ضارية ، فقد دخلت الجزائر وفى رأسى كل تاريخها الماضى المجيد فلم أجد سوى شعبا مزقته السياسة الاستعمارية الغاشمة ، ولم أجد فنون الجزائر وعلومها التى عاشت قرونا طويلة بين ربوع هذه البلاد العظيمة ، لقد وجدت جهلا وظلاما فى كل مكان ، ولم أجد الفلاح الجزائرى الذى قضى كل عمره يفلح الأرض من أجل أولاده إنما وجدت بقايا بشرية حطمها الإقطاع الفرنسى ، ولم أجد العامل الجزائرى إنما وجدت صناديقا بشرية نخر السل عظامها ، وأكلت البطالة لحمها .. ».

ثم يتساءل « يولز » : ماذا فعلت فرنسا بالجزائر ؟ إنه الموت ! بل شيئاً أبعد من الموت » !

وعلى هذه الصورة الخطيرة من الحقائق المؤلمة يمضى « يولز » فى تحقيقه الصحفى إلى أن يقول : إن كل ما يقال عن أعمال فرنسا فى الجزائر على صفحات جرائدنا هراء ، فليست هناك سوى حقيقة واحدة ، هذه الحقيقة أننا انهلنا على الجزائر بطريقة وحشية وسلبنا شعبها كل حقوقه وكل مقوماته لمصلحة حفنة من أصحاب المصانع ورؤوس الأموال ، وكان هدفنا إبادة هذا الجنس بلا رحمة ولا هوادة ، وقد يقول قائل ، ولكن هل كنا نترك فرنسا تموت جوعا ولا ندخل أرض الجزائر ونستعمرها ، ونستغل ما بباطنها ؟

والرد هو ماذا كان يحدث لو أننا عاملنا الشعب الجزائرى بشرف وصداقة .. لا شك أن النتيجة كانت فى مصلحة البشرية كلها ولكن الذى حدث أن النذالة سيطرت على عقول السادة الحكام وكانت وائدهم دائما فى معاملة هذا الشعب ، فلتحصل النذالة نتائج ما جنت يداها » !

و بعد .. فهذه الأقوال وغيرها تعطينا فكرة واضحة عما وصلت إليه الحالة فى الجزائر بعد الاستعمار الفرنسى لها .

ولا نظن أن الأمر بحاجة إلى المزيد من الأمثال حتى نصل إلى النتيجة المطلوبة ففيما سردناه الكفاية إلا أننا يجب أن نسأل هنا سؤالا جديداً .. وهو لماذا تبقى فرنسا فى الجزائر حتى الآن ؟ و بعد أن تكشف للعالم كله أسلوبها التعسفى والإرهابى فى أرض الجزائر .

إن هذا السؤال سنحاول أن نجيب عليه بصراحة فى الفصل التالى .

(٣)

لماذا تبقى فرنسا فى الجزائر

هذا سؤال من السهل الإجابة عليه بعد أن عرفنا من الفصلين السابقين حقيقة الاستعمار الفرنسى وطبيعته ، فهو استعمار محوره الاقتصاد وقد سبق أن ذكرنا الحقيقة المرة التى يعيش فيها شعب الجزائر نتيجة لانتزاع الأرض منه وتمليكها لأبناء المستعمر مما جعل ما يقرب من ٨٠ ٪ من الأسر الجزائرية تعيش على الفاقة ولا تجد قوت يومها .

و بقاء فرنسا فى الجزائر بالقوة المسلحة أو بالنفوذ عمل من شأنه المحافظة على مصالح الاقتصاد الفرنسى من جهة و إبقاء الشعب الجزائرى على حالته الراهنة من الفقر وعدم الارتقاء من جهة أخرى .

فإذا كنا نطالب فرنسا اليوم بالخروج من الجزائر فمعنى هذا فى نظر الطبقة الفرنسية الحاكمة وفى نظر الرأسمالية الفرنسية هو انتحار المصالح الفرنسية فى الجزائر !

ولكى نؤكد هذا يجب علينا أن ننظر إلى حالة الصناعة فى الجزائر نظرة أعمق . فليس فى الجزائر فى الوقت الحاضر صناعات تحويلية وليس مرجع هذا انعدام المواد الخام أو عدم قابلية الجزائر لمثل هذه الصناعات بل العكس هو الصحيح فالجزائر غنية بالمواد الخام التى تساعد على قيام صناعات محلية كبيرة ،

ولـكن الاقتصاد الاستعمارى أو الاستعمار الاقتصادى الذى تفرضه فرنسا هناك حال دون ذلك وأبقى الجزائر فى حالة تأخر فظيع وذلك حتى يمكنه فى الوقت نفسه أن يستغل المواد الخام لصالح المصانع الفرنسية وتبقى الجزائر بعد ذلك سوقاً لتصريف سلعه المختلفة وحقلا لاستثمار رؤوس الأموال الفرنسية !

ولهذا بقيت الطبقة الحاكمة التى يساندها أصحاب رؤوس الأموال الفرنسية بقيت تعارض استقلال الجزائر حتى الآن بل هى تعارض فى الوقت نفسه قيام صـناعات جزائرية صميمة حتى لا تفوت على الاحتكارية الصناعية الفرنسـية المغانم الـكبرى التى تجنيها من وراء احتكار تغذية الشعب الجزائرى ! .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فهناك طبقة الاقطاع الأجنبى فى الجزائر ، وهى الطبقة التى تملك معظم أراضى الجزائر الزراعية ، هذه الطبقة تسيطر بطبيعة وجودها فى الجزائر على سائر أوجه الحياة العـامة فى البـلاد ، وهى من أشد المعارضين فى عملية تصنيع الجزائر لسبب بسيط هو ضمان بقاء سيطرتها على الطبقة العاملة فى الريف تلك الطبقة المعدمة التى تعتبر مصدراً لرخاء الطبقة الإقطاعية ، فإذا ما انتشرت الصناعة فى الجزائر سعت الطبقة العاملة وراء المصانع وتركت الحقول وبذلك ترتفع قيمة اليد العاملة ويقع الإقطاع الفرنسى فى الجزائر فى أزمة حادة .

كل هذا بالإضافة إلى ماسبق أن ذكرناه من أن الحـكومات الفرنسـية كانت دائماً واقعة تحت رحمة الاحتكارات الفرنسـية الـكبرى فهى تعارض فى كل حركة صناعية جزائرية تفادياً لإغضاب سادتها الاحتكاريين. وهذه النقطة بالذات وضحت فى تصريح السيد (بلانس) مدير الشئون الاقتصادية

فى الجزائر إذ قال : (إننا لا يمكننا أن نعمل على تصنيع الجزائر لأن ذلك يضعنا فى موقف عدائى من الصناعة الفرنسية) !

إذاً فمن أهم الأسباب التى تبقى فرنسا من أجلها فى الجزائر هى خدمة الاقطاع الزراعى الأجنبى وخدمة الاحتكارات الاستعمارية فى فرنسا نفسها .

لقد عرفنا من قبل حقيقة الإقطاع الأجنبى فى الجزائر و بقى أن نعرف حقيقة الرأسمال الفرنسى الذى يسيطر على الصناعة هناك .

من المعروف أن الثروتين المعدنيتين الأساسيتين للبلاد هما الحديد والفوسفات ، وهاتين الثروتين محتكرتان بواسطة المجموعات المالية الآتية :

فالحديد مثلا ومن مناجم (مقطع الحديد) بالذات وهى تمثل ٧ ٪ من إنتاج الجزائر الكلى للحديد نجد المجموعة الآتية هى التى تدير العمل وتملك الإنتاج : بنك الاعتماد البارِيسى بالاشتراك مع شركات بونتاموسون التى يملكها نيرفو وروتشيلد .

أما مناجم (العنزة) وتمثل ٧٠ ٪ من الإنتاج الكلى للبلاد فيملك نصف الأسهم فيها إدارة الحاكم العام للجزائر و يملك النصف الآخر بنك الاعتماد البار يسى بالاشتراك مع شركات بونتاموسون التى يملكها نيرفو وروتشيلد (وهى نفس المجموعة الاحتكارية التى تحتكر مناجم مقطع الحديد) وتشترك معها أيضاً مجموعات أرزون وميناريه أى ميتو .

هذا عن الحديد أما الفوسفات فهناك (شركة قسطنطينة للفوسفات) وهى تمثل ٨٠ ٪ من الإنتاج الكلى للفوسفات فى البلاد وتسيطر عليها مجموعات

(اتحاد المناجم) التى يملكها بنك الكريدى دوو يبير والمسيو سكيانينو المالك الأول للسفن فى الجزائر .

ثم (شركة مازيتنا المعدنية) وهى تمثل ٢٠ ٪ من الإنتاج الكلى وتديرها مجموعة (ريفو) بالاشتراك مع روتشيلد وشركة الميتريه أى ميتو !

هذا عن استغلال الثروتين الرئيسيتين فى الجزائر أما الثروة الثالثة وهى البترول فسيأتى عنها الكلام بعد أن نتحدث عن أرباح الشركات الفرنسية فى الجزائر .

فقد ورد فى إحصائية حديثة وضعها السياسى الفرنسى (ليون فيليكس) فى كتاب (فى سبيل الصداقة) يقول ليون : بلغت أرباح ٣٧ شركة فى الجزائر ٨١٠ مليون فرنك فى سنة ١٩٤٧ ، و إزدادت إلى ٢١٧٤ مليون فرنك فى سنة ١٩٤٨ ثم زادت إلى ٢٧٩١ مليون فرنك فى سنة ١٩٤٩ و إلى ٣٢٠٦ مليون فرنك فى سنة ١٩٥٠ و إلى ٤٨١٣ مليون فرنك فى سنة ١٩٥١ ثم قفزت أخيراً إلى ٨١٨٦ مليون فرنك فى سنة ١٩٥٢ ، وهذا هو ما تسجله الدفاتر الرسمية لهذه الشركات بخلاف ما يخفيه أصحابها وهو ما يمثل الحقيقة التى لا يعرفها أحد .

أما الثروة الثالثة وهى البترول فقد بدأت دوائر الاحتكار الفرنسى فى عمليات البحث ، وقد تقدم هذا البحث فى السنوات الأخيرة تقدما محسوسا ، ولهذا فقد أستطاعت مجموعة (الرويال وتسن شيل) السيطرة على ٦٥ ٪ من أسهم (شركة البترول الجزائرية) وعلى ٣٥ ٪ من أسهم (شركة البحث

عن بترول الصحراء واستغلاله) و يشترك مع هذه الشركة الكبرى بعض المؤسسات الفرنسية العامة مثل (ريجى البترول) و بضعة مؤسسات أخرى .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا دعوة خادم الاحتكارية (مندريس فرانس) للهر أديناور مستشار ألمانيا الغربية لتشكيل شركات ومجاميع ومعامل فرنسية ألمانية مشتركة ، فلم يكن خادم الاحتكارية الفرنسى يقصد بهذا الكلام إلا استغلال منطقة الجزائر العربية كحقل لهذه الشركات والمجاميع . .

وما لبثت هذه الشركات أن لبت دعوة خادم الاحتكارية فتكونت عدة شركات جديدة لغرض استغلال الثروات الطبيعية لمنطقة (هضبة بشار) تسيطر عليها مجموعات (الايرلى كيد) (والكاترليون) و (فانكور — كو بيه) إلى جانب الشركة الإلمانية (أندوفينا) والدولة الفرنسية نفسها أيضاً .

هذا ما تأخذه الإحتكارية الفرنسية والإقطاعية الأجنبية والطبقة الحاكمة من الجزائر ، ومن أجل هذا تبقى فرنسا فى هذه الأرض وتتمسك بها وتعتبر المسألة مسألة حياة أو موت بالنسبة لها ، أنظر إلى كل حكومة فرنسية جديدة تأتى إلى الحكم ماذا تقول عن « المشكلة الجزائرية » ؟

عندما جاءت حكومه موليه إلى الحكم كانت الثورة فى الجزائر على أشدها وكان الشرفاء من الشعب الفرنسى يطالبون بضرورة حل المشكلة حلا عادلا فصرح موليه أمام الجمعية الوطنية الفرنسية بقوله (أن أهم المشاكل التى تواجه فرنسا الآن وأكثرها استعجالا و إلحاحا هى قضية الجزائر ولذلك فهى القضية التى يجب أن تحل المحل الأول من اهتمام الحكومة وتغطى على جميع المشاكل الأخرى الواجبة الحل ، وستحتل من عنايتى الشخصية مكان الصدارة .

ولقد أرسلت الحكومة وزيراً مقيما إلى الجزائر يعتبر من ألمع الشخصيات المعروفة بالإخلاص وإنكار الذات يساعده فى مهمته وزيران آخران للدولة وهذا العمل من جانب الحكومة يدل على رغبة أكيدة فى إيجاد حل عاجل للمشكلة يحترم بدقة من قبل الجميع » .

والوزير الذى يقصده موليه فى ذلك الوقت هو الجنرال « كاترو » الذى أدلى بتصريح يفهم منه أنه قادم إلى الجزائر لإيجاد حل يرضى شعب الجزائر أولا ، وهنا هاجت الرجعية والاحتكارية الفرنسية وهاجت الأقلية الفرنسية فى الجزائر واضطرت الوزير إلى الاستقالة فوراً وقبل أن يمارس عمله الجديد ثم طالبت بإحلال المقيم « لاكوست » محله ! .

وبعد ذلك سارع موليه إلى التصريح التالى « إن فكرة الحقيقة القومية الجزائرية لا تستند إلى أى أساس من الاعتبارات الواقعية وهى لا تختلف فى هذا الصدد عن الفكرة المتطرفة الأخرى فكرة اعتبار الجزائر مقاطعة فرنسية صرفة كسائر مقاطعات الوطن الأم ، والواقع أن مما لا يقبل الجدل أن الجزائر لا يمكن اعتبارها مقاطعة فرنسية كسائر المقاطعات الأخرى كما أنه لا يمكن اعتبارها أمة مستقلة بذاتها » .

وعقب هذا التصريح تنفست الاحتكارية الفرنسية الصعداء وباركت خادمها موليه ، وكان لابد أن يؤكد « لاكوست » الوزير الفرنسى الجديد رأى رئيس الوزارة فى هذا الصدد فأدلى بالتصريح التالى : إن رئيس الوزراء مثلى فى هذا الصدد لم يفته بأن مسألة المفاوضات مع العصاة لا يمكن أن تخطر على بال أحد إذا كانت تستهدف اعتبار الفرنسيين الذين يعيشون فى الجزائر أجانب ، إن مثل هذه الفكرة لا يمكن أن يكتب لها الوجود » !

و بعد ذلك التصريح بعدة أيام وقف موليه فى الجمعية الوطنية الفرنسية أثناء المناقشة العامة التى استمرت أربعة أيام والتى انتهت بحصول حكومته على الثقة بالأغلبية فيما عدا الشيوعيين الذين امتنعوا عن التصويت ، وقف موليه يطرى سياسة وزيره المقيم فى الجزائر « لاكوست » وأثنى على شجاعته وحكمته ثم هاجم الصحافة الحرة الفرنسية المدافعة عن قضية الجزائر واستقلالها ثم قال : إن الحل الذى ندعو إليه لمسألة الجزائر لن يكون إلا حلا سياسياً ، لقد قررت الحكومة الفرنسية أن لا تسمح بإقامة نظام الجزائر المستقل من جانب واحد فقط أننا لا نقبل أن يفرض علينا العدو حله الخاص بالقوة .

ثم قال : إن الجزائر لن تكون دولة إسلامية بسبب وجود المليون أوربى مسيحى فيها ، كما أن تكون دولة عربية بسبب وجود البربر فيها ولكنها فى نفس الوقت لن تكون مقاطعة فرنسية صرفة كسائر المقاطعات الأخرى بسبب وجود الثمانية ملايين مسلم فيها ، إن للجزائر طابعها الخاص الذى تتميز به عن سائر بلدان العالم . ومن الضرورى الاعتراف لها بشخصيتها الجزائرية الخاصة مع ضمان اتحادها مع فرنسا الأم بروابط غير قابلة للانفصام » . !

وعلى هذا المنوال الغريب يمكن أن نقيس كل التصريحات التى تصدر عن المسئولين الفرنسيين وأصحاب المصالح الاقتصادية والذين يدورون فى فلك الأمبرياليه الفرنسية ، وخير دليل على ذلك هو نداء الرجعية الفرنسية المتكتلة ضد استقلال الجزائر والذى حوى خليطاً غريباً من أسماء الرأسماليين والاحتكاريين وخدامهم مثل الكاردينال « سابيج » أسقف تولوز « وأميل روسن » رئيس المجلس الاقتصادى « وألبير بابيه » رئيس اتحاد

الصحافة الفرنسى « وجورج ديهامل » الـكاتب الفرنسى « وريمى رور » رئيس تحرير جريدة « الموند » السابق وغيرهم من خدام الأمبرياليـة العديدين. .

وقد جاء فى بيان الرجعية الفرنسية المتـكتلة ما يلى :

إن المصير الذى يتقرر الآن فى الجزائر هو ليس فقط مصير إخواننا من المسلمين والأورو بيين ، وليس فقط مصير شمال أفريقيا والاتحاد الفرنسى ، إنه ليس فقط مصير فرنسا كدولة عظمى ، مصير دورها الاستراتيجى وتوازنها الاقتصادى ، مصير حرياتها الجمهورية ووحدتها القومية التى سيقضى عليها طردنا من أفريقيا فى أمد قصير » .

« وإذا لم نستطع أن نجد فى كنوز ولائنا لفرنسا وثقتنا بالإنسان ، القوى الضرورية لإعادة السلام للجزائر (بفورة دفاقة من الحياة) وإعادتها إلى مركزها المرموق فى الجمهورية الفرنسية فإن أيامنا المقبلة ستـكون أشأم علينا من الأيام التى مرت علينا أثناء الاحتلال الألمانى » !

ويستطرد البيان قائلا : من الذى يريد طردنا من بلاد تربطنا بها ١٢٥ سنة من الحضارة المشتركة ، هم رؤساء العصابات الدائمين والسفاكين القساة ومدبرى الإرهاب ، وبعض النفوس التى أعمتها الدعاية المضللة والذين يدعون أنفسهم وطنيين » !

هذا هو البيان الذى أصدرته جبهة الرجعية الفرنسية ، وهذا هو رأيها فى مسألة الجزائر ، فلماذا خرجت علينا ياترى هذه الرجعية بكل هذا السيل

الفياض من الشتائم والتضليل ، إنه الفزع . . الفزع من استقلال الجزائر ، وخروجها من بين أنياب الاحتكارية الفرنسية ، الفزع من المستقبل الذى تنتظره الرجعية لنفسها عند مايجف مورّد رزقها ، الفزع من ضياع ألوف الملايين بل المليارات من الفرنكات التى تدرها أرض الجزائر المحتلة عليهم وعلى أذنابهم من الكتاب الصفر والصحف المأجورة والاتحادات الصناعية المستغلة والنقابات الخائنة والأحزاب المضللة ، الفزع من ضياع الأمبريالية الفرنسية والقضاء على الاستغلال الرأسمالى الحقير . . . هذا وحده لا غيره الذى دعى الرجعية الفرنسية إلى التكتل ضد شعب الجزائر والتآمر على استقلاله . هذا وحده الذى دعى الرجعية إلى تسمية الثوار باسم رؤساء العصابات والسفاكين وتسمية الشعب الجزائرى « ببعض النفوس المضللة التى أعمتها الدعاية » !

إن هذا البيان على حقارته وشدة ضعته إلا أنه يكشف جانباً هاماً من جوانب الموضوع أنه يفسر لنا ماسبق أن أكدناه من أن خروج فرنسا من الجزائر يعتبر بالنسبة للجبهة الرجعية مسألة حياة أو موت أنظر ماذا يقول البيان « إنه ليس فقط مصير فرنسا كدولة عظمى ، مصير دورها الاستراتيجى وتوازنها الاقتصادى مصير حرياتها الجمهورية العظمى ووحدتها القومية التى سيقضى عليها طردنا من أفريقيا فى أمد قصير » .

حقاً إن خروج فرنسا من الجزائر ومن سائر مستعمراتها هو قضاء على الأمبريالية الفرنسية وحدها دون سواها !

فمن أجل هذه الأمبريالية يعيش الاستعمار فى الجزائر و يدفع الشعب

الفرنسى من عرق جبينه كل يوم مزيداً من الضرائب لتذهب جيوش فرنسا إلى الجزائر لحراسة مناجم الفوسفات والحديد وحقول البترول والإقطاعيات الزراعية الكبرى وتلتحم مع « رؤساء العصابات » كما يسميهم البيان الرجعى وتفنى جيوش فرنسا بالمئات والألوف ويعود الشعب الفرنسى إلى الكد والكدح من جديد ليدفع الضرائب ، وتذهب الضرائب فى صورة أسلحة إلى الجزائر وتصوب إلى صدور الشعب المكافح !

حلقة مفرغة رهيبة لا يكسب منها الشعب الفرنسى العامل شيئاً وتكسب منها الإمبريالية الفرنسية والطبقة الحاكمة وأذناب الأمبرياليسة كل شىء :

من أجل هذا تبقى فرنسا فى الجزائر . . ولكن كيف يسكت العالم وفيه شعوب حرة وفيه هيئة الأمم المتحدة على هذه المؤامرة ؟ . . إن هذا السؤال يحتاج أيضاً إلى جواب ولكن جوابه لا يمكن أن يكتمل إلا إذا قمنا بدراسة موقف الاستعمار العالمى من الجزائر . ، وهذه الدراسة هى موضوع الفصل الرابع .

(٤)

موقف الاستعمار العالمى من الجزائر

ما هو موقف الاستعمار العالمى من مشكلة الجزائر ؟ .

إن هذا السؤال يعود بنا مرة ثانية إلى جوهر المشكلة الجزائرية وهو لايختلف فى شىء عن أية مشكلة من مشكلات التحرير الوطنى من قيود الاستعمار الاقتصادى . وليست هذه المشكلة قائمة فى الجزائر وحدها فهناك أماكن أخرى كثيرة من العالم تعانى نفس المشكلة ولكن من قبل دول أخرى غير فرنسا مثل أمريكا و بريطانيا .

ووجود هذا النوع من الاستعمار فى بلاد أخرى ومن قبل دول أخرى غير فرنسا يجعل فرنسا ليست الدولة الوحيدة المستعمرة بل يضع إلى جانبها كل من أمريكا و بريطانيا . بل إذا رجعنا للأساس لوضعنا كل من فرنسا وانجلترا إلى جانب أمريكا ، فأمريكا تمثل فى عصرنا الحاضر قمة الاستعمار والاحتكارية والامبريالية . ولهذا فإننا نجدها تقف خلف كل استعمار فى العالم وذلك حماية منها لنظمها وقوانينها الاستعمارية التى تود الاحتفاظ بها مدة أطول ، فالسادة الذين يعيشون فى « وول استريت » يدركون جيداً أن أى تصدع فى نظام الاستعمار الاقتصادى الجديد معناه تصدع الاستعمار الأمريكى نفسه . . ولهذا تقف أمريكا إلى جانب فرنسا و بريطانيا فى كل مراحل استعمارها !

وترى صحيفة الاستعمار الأمريكى الأولى (النيويورك تايمس) تقول :

يجب التمييز التام وعدم الخلط بين المشكلة الجزائرية ومشكلة الاستعمار — الكولونيالية — (وهو الاستعمار الاقتصادى) ومعنى هذا أن رأى أمريكا فى المشكلة الجزائرية هو الدفاع أولا وقبل كل شىء عن النظام الكولونيالى، وهو أساس المشكلة الجزائرية .

وهذا يوضح لنا أن الاستعمار العالمى يريد أن يغطى الحقيقة الأساسية ويصرف الأذهان إلى معارك جانبية فرعية ، ويركز كل اهتمامه على النتائج الاقتصادية للنظام الكولونيالى دون مس جوهره الأساسى ، لأن مس جوهر هذا النظام معناه فضح أساليب الاستعمار الاقتصادى الذى تتزعمه أمريكا نفسها .

وفرنسا تدرك هذه الحقيقة وبريطانيا وأمريكا تدركها أيضاً وتدرك أن ثوار الجزائر لا يحاربون الاستعمار الفرنسى وحده بل هم فى معركة طاحنة مع كل قوى الاستعمار العالمية التى تساند الاستعمار الفرنسى وتمده بالسلاح وأجهزة الموت ، وقد لا يعلم الكثيرون أن السلاح الذى تحارب به فرنسا فى الجزائر هو سلاح منظمة حلف الأطلنطى وقد سارعت أمريكا بالموافقة على مد فرنسا بهذا السلاح ، لأن أمريكا تعترف بأن الجزائر جزء من فرنسا وهى بوضعها هذا تدخل ضمن حلف الأطلنطى .

اقرأ معى تصريح الأميرال الأمريكى (رادفورد) أمام لجنة الشئون الخارجية لمجلس الشيوخ الأمريكى ، يقول (رادفورد) : إن نقل الجيوش الفرنسية المرابطة فى أوروبا إلى شمالى أفريقيا أضعف قوى منظمة ميثاق الأطلنطى لحد كبير ، إلا أنه من الممكن استدعاء الجيوش المذكورة لأوروبا حالما تدعو الضرورة لذلك » .

ولقد أدرك مؤتمر الخريجين العرب الذى انعقد فى بيروت هذه النقطة بالذات فقال فى بيانه : لقد أطلقت دول الاستعمار المجتمعة فى حلف شمال الأطلنطى يد فرنسا الغاشمة ومكنتها من استخدام قوات هائلة تابعة للحلف المذكور وذلك لإبادة الشعب العربى الجزائرى بأبشع أساليب الفناء والتهديد » ثم يقول البيان : « تتحمل دول الغرب الاستعمارية مسؤولية هذه الجرائم المنكرة إذ أنها تشترك فيها بسماحها لقوات حلف الأطلنطى وأسلحته بأن تكون أداة العسف والإبادة ضد شعب حر » .

ولعل فى تصريحات سفراء دول الاستعمار فى باريس وقادة حلف الأطلنطى مثل الجنرال جونتر ، واللورد أسمس والسير كلدوين جب والمستر وان لتأييد الاستعمار الفرنسى من أجل إنقاذ (العالم الحر) لعل كل هذا فيه الكفاية للتدليل على مساندة الاستعمار العالمى والإمبريالية العالمية للاستعمار الفرنسى فى الجزائر .

ولقد اعترف « موليه » بتكتل الاستعمار الغربى ضد الشعوب الحرة فقال إن مجموع القوى الموضوعة تحت تصرف منظمة حلف الأطلنطى تشمل فى نطاق أعمالها بلدان أفريقيا الشمالية ، ولذلك من واجبنا لا بصفتنا فرنسيين فقط بل بصفتنا أعضاء فى المنظمة المذكورة أن نحمى هذه البلدان وقد أدرك جميع حلفائنا مثل الجنرال جرونتر القائد العام للمنظمة والسفير الأمريكى فى باريس والسفير البريطانى واللورد أسمس سكرتير مجلس الحلف أدركوا هذه الحقيقة من قبل وأعلنوا عن عزمهم على المضى معنا فى سبيل المحافظة على هذه البلدان » !

وقد سارعت الطبقة الحاكمة البريطانية فأعلنت تأييدها المطلق مع زميلتها الفرنسية وكتبت « الديلى اكسبريس » تقول إنه يجب علينا أن نقف إلى

جانب فرنسا لأن كفاح الفرنسيين فى سبيل السلام فى الجزائر إنما هو كفاح فى سبيل الجمهورية الفرنسية ، فالاقتصاد الفرنسى لا يمكن أن يستغنى عن شمال أفريقيا »

***

يبدو من الفقرات التى تقدمت أن الاستعمار العالمى أصبح فى حالة تكتل و إجماع على مناصرة فرنسا فى الجزائر بكل ما يملك من وسائل وأجهزة . وليس هذا التكتل بغريب على الاستعمار العالمى ، فأمريكا بحكم مركزها القيادى للامبريالية العالمية ولمعسكر الاستعمار العالمى لا تتوانى فى مساندة كل نظم الاستعمار الاقتصادى فى العالم ولو أنها فى حقيقة الأمر تطمع دائما إلى إحلال استعمارها الاقتصادى الجديد محل الاستعمار العسكرى القديم وهى تلجأ إلى وسائل عديدة للوصول إلى غرضها وتظهر بمظهر وسيط الخير بين الاستعمار والشعوب المستعمرة حتى يمكنها أن تجد لنفسها مجالا أوسع . فإذا ما استقرت لها الأمور بدأت فى توسعها و إحلال نفسها محل الاستعمار القديم ! .

وكثيرا ما يحدث هذا التناقض فى المعسكر الرأسمالى الاستعمارى ، وتبدو مجموعة الدول الغربية وكأنها على وشك حرب طاحنة بينها و بين نفسها . . ولكن سرعان ما يتبخر هذا التناقض و يتحول إلى تفاهم تام بسبب حرص المعسكر الرأسمالى الاستعمارى على ادخار كل تناقض بينه و بين نفسه وتكتيل هذا التناقض أمام المعسكر الاشتراكى وحده ! .

لهذا نجد القيادة دائما فى قبضة الاحتكاريين العالميين . . هم الذين يوجهون التفاهم وهم الذين يحرصون كل الحرص على تكتل القوى الاستعمارية دائما فى وجه العدو الأكبر ألا وهو الاشتراكية !

فمهما تناقض الاستعمار مع نفسه ، ومهما قالت أمريكا عن الاستعمار الفرنسى أو البريطانى ومهما قالت فرنسا وبريطانيا عن الاستعمار الأمريكى فإنهم جميعاً فى النهاية كتلة استعمارية واحدة تخفى جميع تناقضها وتنافسها وتطاحنها بينهـا وبين نفسها لتظهر التناقض والتطاحن كله للمعسكر الاشتراكى !

ولهذا فنحن نقرأ أحيانا كلاما أمريكيا معسولا يبدو من ظاهره أن أمريكا تقف فى صف الثوار فى الجزائر أو تبدو أنها غير راضية عن استمرار الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ، ولـكن حقيقة هذا الـكلام تـكون فى واقع الأمر أخبث من الخبث .

وسنورد هنا مقالا كتبته صحيفة (النيويورك تايمس) الاستعمارية عن مشكلة الجزائر يوضح لنا هذا المعنى بدقة تقول الصحيفة :

إن سبب كفاح فرنسا فى الجزائر هذا الـكفاح العنيد هو عدم إمكانها ترك مليون فرنسى وأكثر ، الذين يسكنون الجزائر منذ عشرات السنين ، لا شك بأن الفرنسيين ارتـكبوا أخطاء جسيمة يجنون الآن ثمارها ، ولـكنهم فى نفس الوقت قاموا بعمل حضارى ورسالة تمدينية مجيدة فى التطور الاقتصادى

والاجتماعى ، على أن الفرنسيين اليوم هم ضحايا لأكثر من أخطائهم المذكورة إنهم ضحايا للقومية المعاصرة القابلة للانفجار ، لقد رأينا فى جنوب شرقى آسيا أمثلة بارزة للاندفاع القومى المشوب بالشيوعية إلا أن الأفريقيين ينظرون للقومية بشكل أكثر بساطة وأقرب للصفاء . والواقع أنه ليست هناك شيوعية من الوجهة العلمية فى الجزائر ، لأن القومية من القوة هناك بحيث لا تحتاج إلى مزيد من العون الخارجى الغريب عنها .

إن الجزائر موضوع أكبر مشكلة معاصرة تواجه فرنسا فى الوقت الحاضر مشكلة تبلغ حدا من الخطر بحيث تهدد بناء المجتمع الفرنسى نفسه فى داخل فرنسا وفى شمال أفريقيا .

إن الفرنسيين يسلمون الآن بعدم إمكان اعتبار الجزائر كجزء من فرنسا نفسها ، وهم الآن على استعداد لإجراء جملة إصلاحات فى الحقلين الاقتصادى والسياسى ، إلا أنه كيف يستطاع إنجاز ذلك أمام شعب دفعته للثورة أو الإرهاب حركة تحررية تمتد فى أراضى تبلغ مساحتها أربعة أضعاف مساحة فرنسا نفسها ؟ إن المشكلة ليست من قبيل المشاكل التى يمكن أن تقدم فيها الدول الصديقة لفرنسا مساعدات مباشرة . والحقيقة أن خير ما يمكن أن تفعله هذه الدول هو عدم مضايقة فرنسا ، وضرورة التمييز التام وعدم الخلط بين المشكلة الجزائرية ومشكلة الكولونيالية التى لا تمت إليها بأوهى الأسباب » .

إلى هنا انتهى كلام الصحيفة .

ومن هذا الكلام نخرج بأن أمريكا تريد أن تلعب دور الوسيط للصلح بين شعب الجزائر (الذى ينظر للقومية بشكل أكثر بساطة وأقرب للصفاء) و بين الاستعمار الفرنسى (الذى لا شك قد ارتكب أخطاء جسيمة يجنى ثمارها الآن) وواضح من الوصف الأول لشعب الجزائر وللوصف الثانى للاستعمار الفرنسى الدور الذى اختارته أمريكا لنفسها وهو دور الوسيط الذى يريد أن يقول لشعب الجزائر أن الاستعمار الفرنسى يمكن أن يكون استعمارا طيبا إذا كان كفاح الشعب الجزائرى لا ينطوى على عداء واعى للمعسكر الرأسمالى أو بمعنى أوضح أن أمريكا ترمى أولا إلى أنه من حقها أن تتدخل إذا اشتمت من ثورة الجزائر أنها تهدف إلى أبعد من الاستقلال و إذا تأكدت أن القومية المعاصرة فى الجزائر مشوبة بالشيوعية وهدفها هو ضرب الكولونيالية .

عند هذه النقطة تتدخل أمريكا أما إذا تأكدت أن الثوار فى الجزائر ينظرون للقومية بشكل أكثر بساطة وأقرب للصفاء فإنه من الخير ألا تضايق دول الاستعمار فرنسا وتتركها تعمل بحرية وتطلق يدها بإصلاحاتها الاستعمارية المعروفة .

فما هو موقف الاستعمار العالمى إذاً من المشكلة الجزائرية ؟

هل هو موقف المتفرج ؟

هل هو موقف المؤيد للشعب الجزائرى ؟

هل هو موقف المعارض للاستعمار ؟

هل هو موقف الشريك الذى ينتظر دائما نصيبه من الغنيمة ؟

إن الموقف الحقيقى للاستعمار العالمى من المشكلة الجزائرية هو موقف المتضامن من أجل مصالح الأمبريالية العالمية وبقدر مصالح هذه الأمبريالية يتحرك الاستعمار العالمى .

ولكن ما هو موقف الثوار الجزائريين ؟ وما هو موقف الشعوب المؤيدة للثوار ؟

هل يفهم الثوار وتفهم هذه الشعوب حقيقة موقف الاستعمار العالمى منهم ؟

الجواب على ذلك سنجده فى الفصلين الخامس والسادس .

☆☆☆

(٥)

تاريخ الثورة وموقف الثوار

لكى يمكننا أن نصل إلى حقيقة موقف الثوار فى الجزائر يجب علينا أولا أن نتصدى لتاريخ الحركة الوطنية منذ دخول الاستعمار أرض الجزائر حتى اندلاع الثورة المسلحة فى سنة ١٩٥٤ وهى الثورة المستمرة حتى الآن .

فما هو موقف الشعب الجزائرى بعد الاحتلال الفرنسى لبلاده ؟

هل رضى بالاستعمار وسكت ؟ أم قاوم واستبسل حتى استطاع أن يجمع كل الشرارات ويندلع كالبركان فى ثورة موحدة ضد كل قوى الاستعمار ؟ .

الواقع أن الشعب الجزائرى بدأ كفاحه منذ اللحظة الأولى التى دخل الاستعمار فيها بلاده وإن التاريخ ليحدثنا عن المقاومة الجبارة التى لقيتها الحملة الفرنسية على الجزائر من قبل الشعب ولما أفلح الاستعمار فى ضرب هذه المقاومة ووقفها ظلت طلائع عديدة من رجال القبائل تقاوم فى مناطق متعددة ولم يهدأ لها بال ، ولم يلق أفرادها السلاح وقرروا فى عزم وإصرار على مقاومة جنود فرنسا حتى الموت !

وكان أول من قاد هذه المقاومة هو الزعيم الوطنى السيد أبوزيان وذلك فى سنة ١٨٥٣ بواحة « الزعاطشة » المعروفة بالجنوب الجزائرى ولما أحست

القوات الفرنسية خطورة هذه المقاومة حشدت جنودها وهاجمت الواحة مهاجمة وحشية ومع ذلك فقد صمدت الواحة مدة طويلة وأذاقت القوات المهاجمة مر القتال مع الفارق الكبير فى نوع الأسلحة التى كان الطرفان يستخدمانها !

ولما تمكنت القوات المهاجمة من التغلب على الثوار أصدر قائد الحملة أمراً بقتل كل سكان الواحة وما حولها من القرى الأخرى فأشهرت السيوف وقطعت رقاب الأهالى من النساء والأطفال والشيوخ والشبان حتى الحيوان قضى عليه ولم يبق بالواحة شيئاً يدل على وجودها فقد حرقت المنازل والمزارع وأبيدت الحجارة المتخلفة من عملية الحريق ولم تسمح القوات الفرنسية بقيام واحة أخرى مكان « الزعاطشة » الباسلة التى ضربت أعظم الأمثال على قوة المقاومة والبطولة ؟

وقد بلغ من فرحة المستعمر بهذا النصر أن أطلق اسم هذه الواحة على بعض شوارع العاصمة بعد أن أعدموا الزعيم البطل أبو زيان رميا بالرصاص ونكلوا بجثته الطاهرة !

هذه هى الشرارة الأولى التى انطلقت على طريق الحرية ، وعقبتها بعد ذلك شرارات أخرى ففى نفس العام اندلعت نار المقاومة من جديد فى مدينة « الأغواط » فى الجنوب الجزائرى وأعلنت المدينة الباسلة المقاومة ضد قوات العدوان الفرنسية

وضج الفرنسيون لهذا العمل فقد ظنوا أنهم قضوا فعلا على المقاومة بتدمير واحة « الزعاطشة » ولكن ها هى مدينة « الأغواط » تحمل لواء المقاومة عن الواحة الشهيدة وتستبسل فى المقاومة إلى درجة مذهلة فأرسلت

القيادة الفرنسية جيشاً كبيراً للقضاء على المدينة المتمردة إلا أن هذا الجيش لقى مقاومة عنيفة ما كان يتصورها مطلقا !

ومع كل ماقام به الفرنسيون فى هذه المدينة المجاهدة من أعمال التخريب والقتل والتدمير إلا أنها استطاعت أن تقف على قدميها فى وجه العدو وتقطع عليه كل المناورات !

و بالرغم من الفظائع الشائنة التى ارتكبها الاستعمار فى واحة الزعاطشة وفى مدينة الاغواط فقد استمر القتال ، ولم يستسلم الجزائريون يوما للمستعمر ، أو يعاونوه أو يهادنوه ، إنما كان القتال دائماً هو رائدهم ، ووسيلتهم للقضاء على عدوهم .

وفى سنة ١٨٦٤ ظهر على مسرح المقاومة الشعبية بطل جديد قاد المقاومة واسم هذا البطل هو « الباش أغا سليمان بن حمزة بن بو بكر » وهو من سكان الجنوب الغربى .

وأحدث ظهور هذا البطل ذعراً كبيراً فى دوائر الاستعمار ، وخاصة بعد أن أعلنت قبائل (أولاد سيدى الشيخ) الانضمام إليه والعمل تحت لوائه !

وقد كان لمقاومة هذا البطل لجيوش المستعمر أثر كبير ، إذ استطاع بالفعل أن يرد جيوشهم ، ويجبرهم على التقهقر مسافات طويلة حتى اضطرهم إلى إعادة تكوين جيشهم بقيادة الكولونيل بو بيرتى الذى هاجمهم بجيش كبير ، واستعان ببعض الجنود العرب من جماعة (القوم) وكانت تجربة قاسية للقائد الفرنسى الأحمق ، فما كادت المعركة تبدأ حتى انضم الجنود العرب إلى الثوار وأبادوا الجيش الفرنسى عن بكرة أبيه ، وتمكن البطل العربى

سليمان بن حمزة من قتل القائد الفرنسى أثناء المعركة ، ثم استشهد أثناء القتال .

وهكذا ضرب جماعة « القوم » مثلا رائعاً على التضامن العربى ، وعلى الجهاد فى سبيل حرية بلادهم .

إلا أن هذه الحرب لم يقدر لهـا أن تنتهى بسرعة بعد استشهاد قائدها العربى البطل ، بل استمرت مدة خمسة أعوام كاملة ، وانتشرت فى كافة الجبال الجنوبية ، ولقد لقيت جيوش فرنسا فى هذه المعارك مقاومة مريرة من الثوار وقتل منها الألوف !

وفى نهاية سنة ١٨٦٩ جردت فرنسا حملة كبيرة لقمع الثورة فى الجنوب وأرسلت مدافعها الثقيلة ، ومعداتها الحربية الحديثة لتقاتل بها الثوار الأبطال واستطاعت بالفعل أن تقضى على الثورة فى جبال عمور !

وظن الاستعمار الفرنسى أنه قضى على الثورة فى الجزائر إلى الأبد ، وأن المقام سيطيب له بعد ذلك ، ولن تقف فى وجهه أية مقاومة جديدة ، ولـكن هذا الظن أوهذا الحلم تبخر بعد عامين من التغلب على ثورة الجنوب ، فما كادت جيوش فرنسا تهزم أمام جيوش ألمـانيا فى سنة ١٨٧١ حتى دوى صوت الثورة الجزائرية من جديد ، وقام على الطريق زعيم آخر اسمه : (الباش أغا السيد الحاج محمد المقرانى) من جبال « الجرجرة » وضم إلى صفوفه كل المسلمين ، كما اشترك معه فى إشعال نار الثورة (الشيخ محمـد ابن الحداد) !

واندلعت الثورةمن جديد ، ولـكنها كانت ثورة عارمة قويةاستطاعت

أن تدمر مراكز الاستعمار الرئيسية ، وامتدت حتى بلغت ساحل البحر شمالا وبرج بوعريرج جنوبا ثم دخلت مدينة الجزائر العاصمة نفسها .

وكادت هذه الثورة العارمة أن تقضى بالفعل على الإستعمار الفرنسى فى الجزائر إلى الأبد لولا أن حدثت فى آخر لحظة مفاجأة لم يكن يتوقعها أحد ، فقد أفرجت السلطات الألمانية عن جيوش فرنسا من الأسرى وقامت السلطات الفرنسية بترحيلهم إلى أرض الجزائر حيث أشتركوا فى أخماد الثورة هناك ! .

ولم تخمد هذه الثورة بسهولة كما قد يتصور البعض ولكنها أخمدت بعد صمود صلب من جانب الثوار واستشهد زعيمها أثناء المعارك الطاحنة . ..

وأبت الثورة مع هذا أن تلقى السلاح أو تخضع لرغبات الاستعمار فانسحب الثوار إلى الجبال واعتصموا بها مما دفع فرنسا إلى زيادة عدد قواتها وتجريد حملة أوسع نطاقا ظلت تقاتل بلا هوادة مدة ست شهور أخرى إلى أن سقط آخر ثائر من ثوار الجزائر الأبطال وعددهم ٦٠ ألفا أما جنود الاستعمار الذين قتلوا فى هذه الثورة فبلغ عددهم ٢٠ ألفا !

ولم يشهد التاريخ حقارة ولا ضعة مثلما ارتكبه الفرنسيون فى هذه الثورة من أعمال القتل وهتك الأعراض وحرق الأطفال والنساء والشيوخ والمباهاة بأعمال القرصنة الدنيئة !

وبعد أن استقر الأمر للفرنسيين الأنذال أصدروا أوامرهم بتغريم أهل جبل زوادة ٣٦ مليون فرنك ذهباً واستولوا على ٥٠٠ ألف هكتار من أجود الأراضى التى يمتلكها الشعب وقاموا بتوزيعها على جنودهم .

وقامت بعد ذلك المذابح الكبرى التى أدت ألى إعدام الكثيرين ممن اشتركوا فى الثورة أو عاونوا عليها وحبس وسجن عدد كبير !

☆ ☆ ☆

لم تتوقف الثورة فى الجزائر يوما . . ولكنها كانت مشتعلة دائما صحيح أنها كانت تمتد أحيانا فتشمل كل مكان من أرض الجزائر ثم تنكمش أحيانا وتنحصر فى مدينة أو قرية ولكنها لم تتوقف أبدا وظلت مستمرة إلى أن اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى .

ووجدت فرنسا فى الجزائر حقلا خصيباً للقوى البشرية التى يمكن أن تكون وقوداً للحرب التى دخلتها فاستطاعت أن تجند — بالقوة — ما يقرب من الأربعمائة ألف من أبناء الجزائر ووعدت الشعب الجزائرى أن تمنحه استقلاله الذاتى بمجرد الانتهاء من الحرب ومع ذلك لم تقتنع طوائف عديدة بكلام فرنسا وامتنعت عن إرسال أبنائها إلى الجندية ، فاندلعت نار الحرب بين الفرنسيين و بين الشعب وفر شباب الجزائر هرباً إلى الغابات والجبال .

وعند ما انتهت الحرب العالمية الأولى أرادت فرنسا أن تغطى موقفها أمام الوعد الذى قطعته على نفسها فأصدرت عدة قوانين ألغت بها القوانين العبودية التى كانت تسمى بقوانين الانديجينا ، وكان صدور هذه القوانين الجديدة أشبه بالبترول المسكوب على النار ، فلم يرض عنها جزائرى واحد وأجمع الكل على محاربتها والمضى فى القتال من أجل الإستقلال التام .

ووسط هذه المعمعة الكبرى ظهر زعيم جديد هو الأمير « خالد بن محى الدين بن الأمير عبد القادر الجزائرى » وكان هذا الأمير قد عمل ضابطا فى

الجيش الفرنسى واشترك فى الحرب العالمية الثانية إلى جانب جيوش فرنسا وما أن انتهت الحرب حتى وعى بتشكيل وفد وسافر إلى فرنسا للدفاع عن القضية الجزائرية واستخلاص حق الشعب الجزائرى على أساس المبادىء التى أعلنها — فى وقت الحرب — الرئيس الأمريكى ولسون وهى حرية سائر الأمم فى تقرير المصير .

ولقد أكتشف الأمير كما أكتشف الشعب الجزائرى أن المبادىء التى أعلنها واسون وقت الحرب لم تكن سوى دخانا فى الهواء ولم تكن سوى مخدرا للشعوب المستعمرة حتى تساهم فى الحرب ثم تخرج منها ومازال القيد يغل عنقها !

ولم يجد الأمير بدا من مواصلة الكفاح فأعلن عن قيام أول هيئة سياسية ظهرت فى الجزائر وهى (وحدة النواب المسلمين) وأصدرت الهيئة صحيفة (الأقدام).

وقابل الفرنسيون ظهور هذه الهيئة بكثير من الغضب وأضمروا لها العداء منذ اللحظة الأولى لمولدها ولكن ذلك لم يوهن من عزم الأمير خالد على مواصلة الكفاح .

واستمر الجزائريون يقفون خلف الأمير ويطالبون بتنفيذ مشروعه الذى يهدف إلى إلغاء الأحكام الاستثنائية . ومساواة الجزائريين بالفرنسيين فى كل الحقوق والواجبات وأصبحت هذه المبادىء هى أساس الحركات الثورية التى ظهرت فيما بعد .

* * *

فى سنة ١٩٢٦ تأسست فى باريس جمعية نجم شمال أفريقيا برئاسة السيد أحمد الحاج مصالى وجعلت شعارها هو الاستقلال التام للجزائر ولشعوب المغرب العربى كله فكانت هذه الجمعية بمثابة المشعل الأول على طريقة الجهاد .



السيد أحمد الحاج مصالى

وفى نفس الوقت استطاع الكاتب الكبير والمجاهد الجزائرى العظيم الأستاذ أحمد توفيق المدنى تأسيس (نادى الترقى) بعاصمة الجزائر ، ولقد ساعد ظهور هذا النادى على تفهم القضية الجزائرية فى جو أكثر حرية إذ أن القوانين الفرنسية التعسفية كانت تمنع قيام الاجتماعات وكانت تعتبر وجود خمسة أشخاص فى مكان واحد «اجتماعا» فتحكم عليهم بأشد العقوبات وأردعها !

وجمعت قاعات النادى نخبة المفكرين والأعلام والمثقفين وكانت المحاضرات تلقى بقاعة النادى يومياً ، وتعلم أبناء الشعب حقهم فى الحياة الحرة الشريفة ! .

وعلى مرور الأيام تحول النادى إلى (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) وظهرت فى هذا الوقت بالذات طاقات ثورية فذة بفضل المجهود الذى بذله الأستاذ أحمد توفيق المدنى وزملائه الأحرار .

أما جمعية نجم شمال أفريقيا فقد واصلت كفاحها مدة ١٢ سنة ثم أصدرت الحكومة الاستعمارية قراراً بحلها فى سنة ١٩٣٧ .

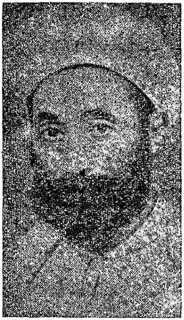
و بالرغم من قرار الحل المذكور فقد تركت جمعية نجم شمال أفريقيا أثرا بالغا فى الوعاء الثورى للشعب الجزائرى فقد وضعت لنفسها مبادىء تمسكت بها وتمسك الشعب بها وكانت الشرارة الأولى على طريق الحرية ، وهذه المبادىء تتلخص فى :

- وجوب انتخاب برلمان جزائرى قوى .
- جعل الوظيفة العامة فى الجزائر مفتوحة أمام الجزائريين .
- الاستقلال التام البلاد و إرجاع الأرض المغتصبة إلى الجزائريين .
- انسحاب جيش الاحتلال الفرنسى .

ورأى الشعب الجزائرى فى هذه المبادىء غايته فاعتنقها وظل يقاتل من أجلها حتى الآن .

ومضت فترة طويلة على الشعب وهو يقف موحدا وراء هذه المبادىء إلى أن جاءت سنة ١٩٣٠ حينما أعلن الاستعمار الفرنسى إحتفالاته الصاخبة الماجنة بمناسبة مرور مائة عام على دخول الاستعمار أرض الجزائر ، فكان هذا الاستفزاز من جانب الاستعمار حافزا قويا على تقوية هذه المبادىء والمضى بها نحو مطالب أوسع .

وفى هذه الأثناء بالذات كانت جمعية العلماء قد بدأت تنشط وانتخب الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس رئيساً لها . ويعد الشيخ عبد الحميد من الطاقات الثورية الفذة التى خدمت القضية الجزائرية خدمة عظيمة ومن أعماله المجيدة التى لا ينساها الوطن الجزائرى إصداره جريدة (المنتقد) التى كانت مشعلا كبيراً على طريق الحرية والكفاح للشعب الجزائرى .



الشيخ عبد الحميد بن باديس

ودخلت جمعية العلماء المعركة مزودة بهذه الطاقات النضالية الممتازة وبدأت تعمل فى الميدان وهنا ظهرت كفاية القائمين على شئون هذه الجمعية إذ أنهم ما كادوا يفرغوا من محاربة أنصار الاستعمار حتى اتجهوا إلى الدين وأخذوا ينقونه من كل الشوائب التى أدخلها الاستعمار الفرنسى عليه ، حتى إذا استقام أمره وأصبح الجزائرى المسلم يفهم دينه حق الفهم . اتجهت الجمعية إلى التعليم لإخراج جيل قوى متعلم رائده التمسك بعروبته وقوميته الحقة .

ولا شك أن أبناء الجيل الحاضر من الجزائريين ليذكروا لجمعية العلماء ورجالها وخاصة الشيخ عبد الحميد بن باديس هذه الفضائل الكبرى .

ولم تكن هذه هى كل رسالة الجمعية ، فقد امتدت رسالتها أيضاً إلى

الحقل السياسى ، فعملت فيه أكثر من طاقتها حتى تمكنت من توضيح معالم السياسة الجزائرية ، وربطها بمبادىء البلاد والعروبة .

وتعد هذه الفترة من تاريخ الجزائر بحق فترة إعداد وتدبير للمعركة القادمة التى كان كل أبناء الجزائر يتوقعون حدوثها فى أية لحظة .

ويبدو هذا واضحا من حالة النشاط العامة التى بدأت تظهر فى الأفق السياسى بظهور وحدة النواب الجزائريين وإعادة تشكيل هذه الهيئة التى سبق أن تحدثنا عنها ، والتى كان يرأسها الأمير خالد بن محيي الدين وشكلت الهيئة تحت رئاسة الدكتور ابن جلول وبدأت العمل فى الحقل السياسى(٩)، فكشف المظالم الاجتماعية التى تقع على شعب الجزائر كنتيجة للاستعمار الفرنسى الوحشى .

وهكذا تجمعت شرارات الشعب الجزائرى ، وبدأت تتحول إلى بركان !

إلا أن الاستعمار الفرنسى أحس بقرب وقوع الكارثة فبدأ يحصن نفسه وأصدر (رونى) وزير الداخلية فى ذلك الوقت قراره المعروف ، والذى يوقع أصرم أنواع العقوبات على كل من يحاول النيل من النفوذ الفرنسى .

إلا أن هذا العسف لم يزد الشعب الجزائرى والزعماء الجزائريين إلا قوة وصلابة .

ومضى الركب على الطريق بقوة وإصرار وأخذت طاقات جديدة تدخل المعركة ، وطاقات أخرى قديمة تعود إلى المعركة وتساهم فيها من جديد .

ظهر الأستاذ عباس فرحات كعضو بارز ومن أنشط عناصر وحدة النواب ، كما أعاد السيد مصالى الحاج احمد تأسيس (حزب الشعب الجزائرى) وأحله محل جمعية نجم شمال أفريقيا !

والتف الشعب من جديد حول الحزب الذى تبلور فيه كفاحه وبدأ يستعيد المبادىء الأولى له !

وهنا تيقظ الاستعمار فقبض على السيد مصالى ورجال حزبه وأغلق الحزب وقدمهم للمحاكمة بتهمة إعادة تكوين منظمة حلها القانون (يقصد جمعية نجم الشمال الإفريقى) وأصدر الاستعمار حكمه بسجنهم سنتين ! .

ولكن هذا العسف لم يجد شيئاً مع الشعب وظل متمسكا بمبادىء الحزب وأخذ ينادى بها فى كل مكان !

ووقع الاستعمار فى حيرة من جديد ، وبدأ يفكر فى طريقة يخرج بها من المأزق الذى وضعه فيه الشعب الجزائرى بكفاحه المستمر واستبساله المجيد وظهر بين صفوف الفرنسيين من يقول : إذا لم تعط الشعب الجزائرى حقه فإنه سيندفع كالمارد على طريق الاستقلال وفى هذه الحالة سنخسر كل شىء !

وكان صاحب هذه الدعوة هو « موريس فيوليت » الوالى العام للجزائر وصاحب مشروع « برنامج فيوليت » الذى يقضى بإعطاء الحقوق الفرنسية لعدد كبير من المثقفين من المسلمين وقد صادق الزعيم الاشتراكى الفرنسى ليون بوم رئيس الحكومة الفرنسية فى ذلك الوقت على هذا البرنامج ولكن النتيجة كانت عزل « فيوليت » من منصبه !

كما أن حزب الشعب الجزائرى قاطع هذه الدعوة لأنه رأى فيها تنافياً

مع مبادئه التى أعلنها وهى الاستقلال التام والخروج عن حظيرة فرنسا !

ومنذ هـذا التاريخ بدأ الاستعمار الفرنسى فى اضطهاد حزب الشعب الجزائرى الذى أخذ ينظم صفوفه من جديد ويحمل المشعل على الطريق لدرجة أفزعت الاستعمار فأعاد زعماء الحزب فى سنة ١٩٣٩ إلى السجن وحكم عليهم فى هذه المرة بستة عشرة سنة والنفى عشرين عاماً بعد قضاء مدة السجن !! هذا خلاف تغريمهم ثلاثين مليوناً من الفرنكات !

* * *

وجاءت سنة ١٩٣٩ بالحرب . . فهل توقف الكفاح الجزائرى ؟

وهل نامت عين الشعب الجزائرى عن حقوقه ؟

كلا ... ولكن الخديعة وحدها هى التى أخرت كفاح الشعب الجزائرى بعض الوقت ، فقد حدث أن هزمت فرنسا وداست جيوش النازى أرضها بالنعال ولم تستطع فرنسا التى تمثل البطولة فقط فوق أرض الجزائر لم تستطع أن تصمد أمام جيوش هتلر سوى ١٥ يوماً فقط !

وهنا كان يجب أن يثب الشعب الجزائرى وثبته الكبرى كان يجب أن يقوم بثورته ويتخلص من كل الأعداء مرة واحدة ولكن الذى حدث أن موقف الاستعمار الموحد فى هذه اللحظة بدأ يلعب دوره وقد خدع الشعب الجزائرى مرتين .

المرة الأولى عندما وعدهم الاستعمار الألمانى بمنحهم كافة حقوقهم بعد انتهاء الحرب فصدقوه .

والمرة الثانية عندما دخلت الجيوش الأمريكية أرض الجزائر وأكدت

أمريكا للجزائر أنها تقدر كفاحها فى سبيل انتصار الحلفاء ولهذا فإنها ستعمل على منح الجزائر استقلالها ولكن بالتفاهم مع فرنسا . . ثم عادوا فأنكروا هذه الحقوق واستعانوا بالفرنسيين فى جميع الأعمال وتركوا شعب الجزائر بعيداً عن كل عمل ، وكانت حجتهم فى ذلك أنهم حلفاء للفرنسيين وأنهم جاءوا إلى الجزائر لطرد جيوش المحور فقط أما الحقوق الجزائرية فمسألة بين فرنسا والجزائر ولا دخل مطلقا لأمريكا بها !

بل وهددت أمريكا الشعب الجزائرى فى ذلك الوقت بضربه إذا ما أقدم على أى عمل عدائى ضد فرنسا !

وهكذا قدمت أمريكا الجزائر هدية لفرنسا من جديد وحمت المصالح الفرنسية فى الوطن الجزائرى !

و بالرغم من الخداع الألمانى والتهريج الأمريكى فقد مضى شعب الجزائر فى كفاحه دون النظر إلى أى اعتبار آخر سوى تحرره من قبضة الاستعمار نهائياً !

وكانت الأمة كلها قد أجمعت عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة على التحرر عن طريق المفاوضة على أساس خروج الجزائر من المنطقة الاستعمارية إلى المنطقة المستقلة الحرة .

واجتمع زعماء الجزائر ووضعوا بيان نشروه على الشعب الجزائرى وأرسلوه إلى المستعمر فى بلاده ولجميع الدول المتحالفة ووضع هذا البيان الأستاذ عباس فرحات .

وكان هذا البيان مكونا من ثلاث نقاط هى :

- إفلاس الاستعمار الفرنسى فى سياسته .
- الاستعمار هو سبب ما يعانيه الشعب الجزائرى من فقر وجهل وتشرد .
- الحل الوحيد لمشكلة الجزائر ولمشاكل الشعب الجزائرى هو إعلان (الجمهورية الجزائرية المستقلة) .

وانضم الشعب الجزائرى وتكتل خلف البيان الوطنى الرائع وتألفت هيئة من الشعب أسمت نفسها (أحباب البيان والحرية) وتمسكت هذه الهيئة بالبيان وأبدت استعدادها للتضحية من أجل الحقوق التى نص عليها .

وكان رد الفعل الطبيعى هو تمسك الاستعمار بمصالحه فى الجزائر وجاء (ديجول) رئيس حكومة فرنسا الحرة فى ذلك الوقت إلى القسطنطينة وأعلن عن برنامجه المماثل لبرنامج « فيوليت » الذى تحدثنا عنه ووعد بإجراء بعض « الإصلاحات » ولكنه تمسك بأن الجزائر هى جزء من فرنسا وأنهما يكونان وطنا واحداً !

إذن فقد أفصحت فرنسا عن نواياها . . وقالت كلمتها الأخيرة فى الموضوع ، فلابد من أن يعمل الشعب الجزائرى شيئا من أجل انتزاع حقوقه من أنياب الاستعمار !

والشعب الجزائرى دائماً على استعداد للتضحية من أجل مبادئه التى أعلنها فى فجر كفاحه

وكانت النتيجة أن قبضت السلطات الفرنسية على الأستاذ عباس فرحات واضع البيان وألقت به فى السجن وأرسلت بالسيد أحمد مصالى إلى المنفى فى الصحراء وكانت قد أطلقت سراحه من السجن .

* * *



الأستاذ عباس فرحات

إذن فقد مضت الثورة على طول الطريق الذى رسم لها منذ البداية . . بلا خيانات ولا انحرافات ولا تضليل . . ولعب زعماء الجزائر أدوارهم بصدق ولعب الشعب الجزائرى دوره بأمانة و بذل كل ما يمكن بذله من أجل استقلاله . .

ومع هذا كله فلم ينل الشعب الجزائرى استقلاله ولم يخرج من هـذا الـكفاح بشىء يذكر فقد كان حتى سنة ١٩٤٥ ما زال يدور فى نفس الحلقة المفرغة التى هيأها له الاستعمار .

ولـكن فى شهر مارس من هذه السنة احتفل الحلفاء بتوقيع الهدنة .

ومع هذا الاحتفال الذى يحمل معانى السلام أكثر من أى شىء آخر كشف الاستعمار الفرنسى القناع عن وجهه و بدأ يسفر حقا عن نواياه .

فقد انتهز الاستعماريون الحقراء فرصة وجود مظاهرة وطنية مسالمة كانت تسير فى شوارع مدينة (سطيف) وأطلقوا النيران عليها وفرقوها بقسوة ووحشية !

ووقع هذا الحادث فى نفس الشعب الجزائرى موقع الصاعقة فقد كانت كل النفوس متعطشة إلى قتال هؤلاء الأنذال الذين لم يتمكنوا من الدفاع عن أراضى بلادهم أمام جيوش هتلر وفروا كالأرانب . . ثم جاءوا إلى الشعب الجزائرى ليظهروا له بطولتهم وأسلحتهم .

وهكذا قابل الشعب ضربات الاستعمار ، بروح قوية عالية وتصميم على الخلاص .

ولـكن المستعمر كان يملك من العتاد (الأمريكى) ما جعله يطارد شعب الجزائر و يطلق عليه النيران بلا رحمة ولا هوادة و يدخل القرى و يقتل أهلها بالألوف و يدمرها عن آخرها و ينهب كل ما فيها من متاع ومال !

واستحالت أرض الجزائر الخضراء إلى بركة من الدماء !

وانتشرت طائرات سلاح الطيران الفرنسى فى طول البلاد وعرضها وراحت تدمر القرى تدميرا ، وسادت الفوضى فى المدن و بلغ عدد القتلى نحو ٤٥ ألفا أو يزيد عدا الخراب الذى حل بالمدن والقرى من جراء أعمال رجال « الميليشيا » ورجال الفرقة الأجنبية الأفاقين !

وكان الجيش الفرنسى قد حاصر كل البلاد وأمرت الحـكومة بإلقاء القبض على ٤٥٦٠ رجلا من خلاصة المفـكرين وحكمت على كثيرين منهم بالإعدام والسجن المؤبد !

و بعد هذه الموجة الجنونية من الإرهاب والتنكيل ظن المستعمر الفرنسى أنه أغلق باب الثورة إلى الأبد ، وأنه أصبح يسيطر على كل الأمور ولكن هل نامت الثورة ؟ وهل استسلم الشعب ؟ .

انظر ماذا حدث ..

لقد عبرت سنة ١٩٤٥ كأسود السنوات على المستعمر ، فما استقر له حال من جراء الأعمال الفدائية التى كان يقوم بها الشعب بعد أن دخل الزعماء السجن وحل بالبلاد الخراب ، وقد اضطرت السلطات الفرنسية فى نهاية الأمر أن تفرج عن الزعماء حتى تقف أعمال المقاومة الشعبية !

خرج عباس فرحات فسارع بتأسيس (حزب الاتحاد الديموقراطى للبيان الجزائرى) بدلا من جماعة (أحباب البيان والحرية) التى حلها المستعمر

وخرج زعماء حزب الشعب من السجون فأسسوا (حزب انتصار الحريات الديموقراطية) ووقف الجميع على طريق الكفاح من جديد .

* * *

وكان أول عمل واجهه الثوار بعد ذلك هو الوقوف فى وجه « الدستور الجديد » الذى أصدره المستعمر للجزائر هذا الدستور الذى أكد تبعية الجزائر لفرنسا فهو ينص على أنها قطعة من الأرض الفرنسية وسكانها جنسيتهم جميعاً فرنسية ! .

وعلى أساس هذا الدستور أجريت الانتخابات ووجد الزعماء الجزائريين أنفسهم أمام أحد أمرين إما أن يقاطعوا الانتخابات فلا يدخل جزائرى واحد « المجلس الجزائرى » و إما أن يخوضوا المعركة و يسيطروا على المجلس وفى هذه الحالة يمكنهم أن يغيروا الدستور و يقلبوا الأوضاع .

واستقر الرأى أخيراً على دخول الانتخابات مهما كان الأمر .

ولكن المستعمر الذى تمسك دائماً بالسيطرة على كل أجهزة الحكم دبر مؤامرة جديدة واستطاع أن يزيف الانتخابات بكل الطرق فكانت النتيجة أن فاز أنصار الحكومة بـ ٤٣ مقعداً وفاز حزب انتصار الحريات بتسعة مقاعد أما حزب الاتحاد الديموقراطى فلم ينجح منه سوى ثمانية أعضاء ! .

وهكذا انتصر المستعمر من جديد . . و بقيت الأوضاع كما هى وعطلت كل المشروعات الشعبية وديست حقوق الجزائريين بالفعال .

فماذا فعل الزعماء ؟ . . وماذا فعل الشعب ؟ . .

هل رضوا بهذه الهزيمة وسكتوا عليها ؟ . أم قاوموا واستبسلوا فى مقاومتهم ؟ .

أن الفترة من سنة ١٩٤٨ حتى قيام الثورة المسلحة فى سنة ١٩٥٤ كانت فترة إعداد للثورة المسلحة التى عرف الزعماء والشعب أنها هى الطريق الوحيد إلى استخلاص حقوقهم واستقلال بلادهم .

فقد تعلم الشعب من تجاربه مع الاستعمار الفرنسى السابقة أن المهادنة لاتصلح لأخذ الحقوق . . ولهذا فقد قاطع الشعب الجزائرى الانتخابات الجديدة . . . وأخذ يرسم طريق الثورة المسلحة بوعى و إصرار .

وفى هذا الوقت أعلنت الحكومة أن حزب انتصار الحريات الديموقراطية يحبك مؤامرة لقلب نظام الحكم وأن بعض العناصر الشيوعية قد تسربت إلى مراكزه ! .

و بناء على هذا الإعلان هوجمت مراكز الحزب بالمدن والقرى وصودر

كل شيء وقدم زعماء الحزب للمحاكمة وحكم على نصفهم بمدد تتراوح بين العامين و بين الأشغال الشاقة المؤبدة ونفى السيد أحمد الحاج مصالى رئيس الحزب عن أرض الجزائر بالقوة ! .

* * *

وكان الطريق الطبيعى بعد ذلك أن يقف الشعب صفاً واحداً أمام مظالم الاستعمار وأن ينادى بالاتحاد فى جبهة واحدة حتى يمكن أن توضع النواة الأولى للثورة المسلحة التى تطيح بالمستعمر مرة واحدة .

و بذلت جهود جبارة إلى أن تم هذا الاتحاد تحت اسم (جبهة الدفاع عن الحرية) ووضعت هذه الجبهة برنامجاً لها يتلخص فى :

- حل المجالس المزيفة .
- اجراء انتخابات حرة .
- اطلاق سراح المعتقلين وعودة الزعيم مصالى .
- تعليم اللغة العربية بالمدارس .

وواضح من هذا البرنامج أنه وضع على نطاق ضيق لأن هدفه الأول كان توحيد كلمة الشعب أولا ثم وضع برنامج واسع يكون أساساً لثورة مسلحة !

* * *

وهنا يجدر بنا أن نقف عند التطور العظيم الذى طرأ على حزب الشعب أو حزب انتصار الحريات الديموقراطية وهو الحزب الذى لعب دوراً كبيراً فى رسم برنامج الثورة فى كل مراحلها .

هذا الحزب كان قد تضخم وكبر وخاصة بعد أن عصفت به يد الطغيان

والاستعمار فالتف حوله الشعب التفافاً عظيما ، وسعت إليه العناصر المثقفة الأكثر وعياً وتقدما من عناصره السابقة .

وكان من الطبيعى أن تعدل نظم الحزب بما يتفق ورسالته الكبيرة . فاجتمع مؤتمر الحزب فى سنة ١٩٥٣ وناقش هذه الأوضاع وقرر إعادة تنظيم الحزب ووضع برامج تتفق وقوته وكان هذا التنظيم يقضى بأن تسرى النظم الديموقراطية داخل الحزب وأن يسوده رأى الأغلبية ، وأن تمحى الفردية تماماً !

وواضح من هذه القرارات أن أعضاء الحزب من العناصر الجديدة الناضجة كانت تهدف إلى عدم تركيز السلطة فى يد السيد مصالى الحاج زعيم الحزب وهو فى منفاه حتى لا ينحرف بالخطوط الأساسية المتفق عليها ! .

وعلى هذا الأساس أجريت انتخابات المجلس الجديد .

ولكن السيد مصالى الحاج خرج على هذا الإجماع وطالب أعضاء الحزب مرة أخرى بإعطائه (التفويض المطلق) فى سياسة الحزب ثم اجتمع فى بلجيكا مع بعض أنصاره وقرر فصل أعضاء اللجنة المركزية من الحزب ومنح نفسه سلطة توجيه الحزب . . وهى سلطة فردية لم يرض عنها أحد !

وأجاب أعضاء اللجنة المركزية على هذا الإجرا بإجراء آخر أعلنوا فيه أن الزعامة الفردية انقضى أجلها وفصلوا السيد احمد الحاج مصالى ورفاقه من الحزب !

وفى هذه الأثناء كانت الثورة التونسية قد اندلعت ووصلت إلى قمتها فاجتمع بعض رجال اللجنة المركزية وقرروا أنه قد جاءت الساعة الحاسمة . ويجب إعلان الثورة المسلحة الواعية واتصلوا بالمنظمات السرية التى كانت قد انتشرت فى كل مكان فأخذ تستعد للثورة !

وفجأة ظهر المنشور الأول بإعلان الثورة . . وجدير بنا أن ننشر نص هذا المنشور حتى يمكننا أن نقف على الخطوط العريضة للثورة فى الجزائر . وحتى يمكن أيضاً أن نحدد هدف الثوار وهل هم يفهمون جميع التيارات المحيطة بهم أم لا . وهذا هو نص المنشور .

إلى الشعب الجزائرى :

إلى أنصار القضية الوطنية .

إليكم أنتم المدعوين إلى الحكم علينا — الشعب بصفة عامة والأنصار بصفة خاصة — نتجه بهذا البيان وغايتنا هى أن نوضح الأسباب العميقة التى دفعتنا لأن نشرح لكم برنامجنا ومغزى حركتنا التى ظل هدفها دائماً هو « تحقيق الاستقلال الوطنى فى نطاق الشمال الأفريقى » ولنا غاية أخرى فى ذلك ، وهى أن نجنبك الوقوع فى الغموض الذى يريد الاستعمار أن يحيطك به هو وعملاؤه من رجال الإدارة والسياسيين المنحرفين .

إننا نعتبر قبل كل شىء أن الحركة الوطنية قد دخلت مرحلتها النهائية بعد مراحل طويلة مرت بها . وذلك أن هدف الحركة الثورية قد توفرت الآن جميع شروطه المرضية التى تيسر لهذه الحركة أن تشن الحركة التحريرية ، ونحن نرى أن الشعب تحت ضوء ظروفه الداخلية قد أصبح متحداً وراء فكرة الاستقلال والعمل ، وأنه تحت ظروفه الخارجية قد بلغ مرحلة مرضية لحل المشاكل الصغرى التى من بينها مشكلة بلادنا ، وذلك بفضل المساعدة السياسية التى يبذلها لنا إخواننا العرب والمسلمين ، وحوادث تونس ومراكش لها مغزاها فى هذا الصدد وهى تسجل جانباً عظيما من جوانب قضية تحرير

شمال أفريقيا ، ونسجل فى هذا الصدد أننا كنا منذ زمن طويل حريصين على وحدة العمل الذى لم يتحقق مع الأسف بين أقطارنا الثلاثة .

أما اليوم فإن كلا من تونس ومراكش قد دخلتا فى هذا الطريق و بقينا نحن وراءهما نتحمل عواقب من فاتهم الركب ، وهكذا فإن حركتنا الوطنية التى مرت عليها سنوات من الجحود والتوجيه المنحرف وفقدان المؤايدة الشعبية الضرورية ، قد أخذت تدخل شيئاً فشيئاً فى الحالة التى يغتبط بها الاستعمار أعمق الاغتباط حتى أصبح يعتبر أنه تحصل على أكبر انتصار على قيادة الحركة الوطنية الجزائرية .

إن الساعة ساعة خطر ، وأمام هذه الوضعية التى توشك أن تصبح ميؤساً منها ، رأى جمع من الشبان المسؤولين الواعين لهذا الخطر والذين جمعوا حولهم عناصر سالمة ذات تصميم واضح رأت أن الوقت قد حان للخروج بالحركة الوطنية من المأزق الذى تردت فيه بسبب تناحر الأشخاص وتزاحم النفوذ وعزموا على أن ينطلقوا إلى جانب إخوانهم التونسيين والمراكشيين فى المعركة التحريرية الحقيقية .

ونحن نحب أن نؤكد فى هذه الصدد ، أننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان النفوذ فى الحركة الوطنية ، وحركتنا التى وضعت المصلحة الوطنية فوق جميع الاعتبارات الحقيرة حول الأشخاص ومكانتهم والتى تتمشى مع المبادىء الثورية لا عدو لها تقاومه إلا الاستعمار الأعمى ، الذى لم يتح لنا فى أى وقت من الأوقات أن ننظم نضالا سلميا .

هذه هى الأسباب التى جعلتنا نتقدم بحركتنا تحت اسم « جبهة التحرير

الوطنى) وبذلك تتيح هذه الحركة لجميع الوطنيين الجزائريين مهما كانت طبقاتهم الاجتماعية ومهما كانت أحزابهم وحركاتهم الجزائرية الخاصة أن يندمجوا فى معركة التحرير دون أى اعتبار آخر .

ولـكى نزيد الأمر تفصيلا وتوضيحا فها هى الخطوط العامة لبرنامجنا السياسى :

الهدف — هو الاستقلال الوطنى بواسطة إيجاد دولة جزائرية ذات سيادة ونظام ديموقراطى اشتراكى فى دائرة المبادىء الإسلامية مع احترام جميع الحريات الأساسية دون أى ميز فى الدين أو المعتقد .

وغايتنا فى الميدان الداخلى هى التطهير السياسى وذلك بإعادة الحركة الوطنية فى طريقها الثورى الصحيح وللقضاء قضاء مبرماً على جميع ألوان الاحتيال والدخول فى سياسة الاصلاحات التى هى سبب تقهقرنا الحالى وغايتنا هى أيضاً لم شتات جميع الطبقات السليمة للشعب الجزائرى لتصفية حساب النظام الاستعمارى .

وغايتنا فى الميدان الخارجى هى تدويل القضية الجزائرية وتحقيق وحدة شمال أفريقيا فى نطاقها الطبيعى الذى هو النطاق العربى الإسلامى .

وموقفنا فى دائرة ميثاق هيئة الأمم المتحدة هو تأكيد صداقتنا الفعالة لجميع الدول التى تساند قضيتنا التحريرية .

أما وسائل الـكفاح فهى تبعاً للمبادىء الثورية ونظراً للوضعية الداخلية والخارجية — هى مواصلة الجهاد بجميع الوسائل إلى أن يتحقق هدفنا إن شاء الله .

وجبهة التحرير الوطني لكي تحقق هذا الغرض يجب عليها أن تقوم بمهمتين أساسيتين متماشيتين في وقت واحد أولاهما : عمل داخلي في الميدان السياسي وفي ميدان العمل والكفاح ، وثانيتهما : في الميدان الخارجي ، حتى تصبح المشكلة الجزائرية حقيقة في نظر العالم كله ، بمساعدة جميع حلفائنا الطبيعيين .

وهذه المهمة المزدوجة مهمة ثقيلة الوطأة مرهقة تتطلب تجنيد جميع الطاقات ، وجميع الموارد الوطنية وصحيح أن المعركة ستكون طويلة الأمد ، ولكن انتصارنا فيها لا شك فيه إن شاء الله .

وأخيراً — لكي يقع تجنب جميع التأويلات الخاطئة أو المغرضة ولكي يقع تجنب إزهاق الأرواح وإراقة الدماء — فإننا نقدم أسساً شريفة لمفاهمات مع السلطات الفرنسية إذا كانت لهذه السلطات استعدادات طيبة للاعتراف أخيراً للشعوب التي تتحكم فيها بحقها في تقرير مصيرها وهذه الأسس هي :

- فتح مفاهمات مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية الموحدة التي لا تتجزأ .
- إيجاد جو من الثقة ، وذلك بإطلاق سراح المساجين السياسيين ، ورفع جميع التدابير الاستثنائية والتوقف عن تتبع قوات المقاومة .
- الاعتراف بالشخصية الجزائرية في تصريح رسمي ينسخ جميع القوانين التي صيرت الجزائر أرضاً فرنسية بالرغم من التاريخ ، والجغرافيا واللغة والدين والعوائد التي يتصف بها الشعب الجزائري .

وفي مقابل ذلك نتعهد بما يلي :

- إن المصالح الفرنسية الثقافية والاقتصادية التى تحصلوا عليها بطريقة شريفة مضمونة وكذلك الأشخاص والعائلات .
- جميع الفرنسيين الراغبين فى البقاء بالجزائر يكون لهم الخيار بين جنسيتهم الأصلية — وفى هذه الحالة يعتبرون أجانب بالنسبة للقوانين المعمول بها ؛ و بين الجنسية الجزائرية — وفى هذه الحالة يكونون معتبرين جزائريين لهم ما للجزائريين من حقوق وعليهم ما على الجزائريين من واجبات .
- العلاقات بين فرنسا والجزائر ، يقع تحديدها وتكون موضوع مفاوضات بين الدولتين على قدم المساواة والاحترام المتبادل .

و بعد ، فيا أيها المواطن الجزائرى الحر . . إننا ندعوك إلى التفاعل فى هذا الميثاق ، و إن واجبك المقدس يدعوك إلى الانضمام إليه ، لإنقاذ بلادنا و إعادة حريتها إليها إن جبهة التحرير الوطنى جبهتك وانتصارها هو انتصارك .

أما نحن الذين عزمنا على مواصلة الكفاح ، والذين لا نشك فى عواطفك المعادية للاستعمار ، والذين نعتبر أنفسنا أقوياء بمساندتك ، وتأييدك ، فإننا سنهب أعز ما نملك لوطننا .

« جبهة التحرير الوطنى الجزائرى »

هذا هو المنشور الأول الذى أصدرته جبهة التحرير الوطنى الجزائرى .

وعلى أثر هذا المنشور استجابت جميع الأحزاب للثورة المسلحة ، وأعلنت فرق جيش التحرير تأييدها للبيان أو المنشور الأول .

وأصبح الشعب الجزائرى كله يقف صفاً واحداً خلف هذه الأهداف إلا أن السيد أحمد الحاج مصالى ومن معه من أنصار رفضوا الانضمام إلى هذه

الحركة الجديدة وأعلنوا عن تأسيس (الحركة الوطنية الجزائرية) وقد أجابت فرق جيش التحرير على هذا العمل بالاستنكار وأعلنت أن جيش التحرير هو جيش واحد وأن القيادة السياسية واحدة وهى (جبهة التحرير الوطنى) .

وهكذا تخلف أحمد الحاج مصالى عن الثورة التى اندلعت بعد هذا المنشور فى كل مكان فى الجزائر وأصبحت حديث العالم كله .

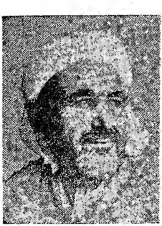
على أن هذا السياسى القديم لم يشأ أن يسكت عقب إعلانه الخروج على « جبهة التحرير الوطنى » بل راح يساوم الاستعمار الغربى بطريقة مكشوفة تدعو إلى الرثاء فنحن نراه يصرح لمندوب جريدة (دى فلت) الألمانية فى ١٦ / ٣ / ١٩٥٦ بحديث طويل هاجم فيه فرنسا بطريقته الخاصة ثم اختتم الحديث بهذا التصريح :

أن شمالى أفريقيا داخل ضمن النطاق الاستراتيجى لمنظمة ميثاق الأطلنطى شئنا ذلك أم أبينا ، ولا يمكن أن نتعاون مع فرنسا ودول الغرب إلا بقدر مساعداتها لنا فى الحصول على الاستقلال .

أن انتصار الحرية فى شمال أفريقيا سوف يضع حداً لكل الخلافات القائمة اليوم بين فرنسا والعالم العربى ويجب أن لا تنسوا إمكانية تحويل أفريقيا الشمالية إلى ساحة إنشاء و بناء للعالم الغربى لأنها سوق هائلة تضم أكثر من ثلاثين مليون عربى » .

إننى لا أكاد أصدق أن رجل عربى شريف مثل السيد مصالى يصرح بمثل هذا الكلام . . . ولكن هذا ماحدث ، ولعل هذا الرأى المستند على سياسة (المساومة) مع دول الاستعمار الغربى هو الفرق الكبير الذى يفصل بين حزب السيد مصالى (الحركة الوطنية الجزائرية) وبين « جبهة التحرير

الوطنى » التى أعلنت حربها على النظام الاستعمارى العالمى كمجموع .
ولهذا السبب أيضاً نرى (لجنة تحرير شمالى أفريقيا) التى أتخذت لنفسها مقراً فى نيويورك والتى يديرها (العابد بوحافة) تتقرب إلى حركة السيد مصالى وتدعو إلى المصالحة مع الاستعمار الفرنسى وخير دليل على ذلك تلك المذكرة التى قدمها العابد إلى حكومة يوغوسلافيا (كمشروع لحل سالمى لمشكلة الجزائر بطريق الوساطة) والتى يقرر فيها أن حرب الجزائر هى (حرب اجراءات وليست حرب مبادىء) معنى ذلك أن السيد العابد مثل السيد مصالى لايرى فى التناقض الأساسى بين الوطنية الجزائرية والاستعمار الفرنسى إلامجرد خلاف على التطبيق وليس خلاف على المبدأ !



الأمير عبد الكريم الخطابى

وعلى الرغم من هذه المحاولات الخبيثة للانحراف بالثورة الجزائرية المسلحة وتوجيهها وجهة المساومة إلا أن هناك عدد كبير من الزعماء المخلصين من أبناء الشعب الجزائرى يقفون لهذه المحاولات بالمرصاد . أنظر ماذا يقول الثائر المغربى الكبير الأمير عبد الكريم الخطابى بالرغم من أنه قد بلغ الرابعة والسبعين من عمره .

يقول هذا البطل : إن كل أولئك الذين عقدوا أو يفكرون فى عقد أية مفاوضات مع الاستعمار الفرنسى طالما بقى جندى واحد فى الوطن المغربى ليسوا إلا خونه » ! .
ثم يقول : إن الحرب فى الريف سوف تستمر وتتسع إلى أن يتم طرد جميع المستعمرين من شمالى أفريقيا » .

وهذا هو بيان (جبهة التحرير الوطنى) يرد على هذه المساومات فيقول : «أن الشعب الجزائرى الذى ثار الآن عن بكرة أبيه ضد المستعمرين لن يكون بعد اليوم موضوعاً للمناورات والمساومات من أى نوع كان ، ولن يضل عن هذا الأساس وهو احتلال مكانه بين مجموع الأمم الأخرى .

أن رجالنا الأبطال الذين يحاربون الآن فى صفوف جيش التحرير الوطنى هم ورثة أولئك الشجعان الذين لم يخنعوا أبداً فى تاريخنا الطويل أمام انتزاع الدولة الجزائرية من سلك المجموعة الدولية) .

ثم يقول البيان أيضاً أن تسعة ملايين جزائرى يصرخون فى وجهك بالإجماع بأنهم يعبدون وطنهم الجزائرى وسيستميتون بارجاع السيادة التامة إليه ، أن المساومة فى الحقوق والواجبات التى تزعم أنك تستهدفها (يقصد البيان مسيو موليه رئيس الوزراء الفرنسى) لا يمكن أن تتحقق بالمرة إلا فى ظل دولة جزائرية ديموقراطية تتمتع بكامل السيادة ، ولا يسيطر على اقتصادها سوى أبناء الجزائر أنفسهم لا حفنة الرأسماليين الفرنسيين الذين يمتصون دماء الشعب الجزائرى) .

ثم اقرأ معى الفصل الختامى لمطبوع (حقائق عن القضية الجزائرية الذى أصدرته (حركة انتصار الحريات الديموقراطية) يقول البيان :

- أن الشعب الجزائرى لم يكن شعباً متأخراً قبل سنة ١٨٣٠ ، خلاف ما تذيعه الدعاية الاستعمارية الوقحة ، بل كان شعباً له تنظيمه الاجتماعى وحكومته وجيشه وأسطوله واقتصاده الوطنى وثقافته الحية ومفكروه وكتابه ، وإذا كان قد انحدر كجزء من العالم الإسلامى الواسع الأرجاء فى طريق

التفسخ والانحلال فى القرون الأخيرة فإن ذلك يجب أن لا ينسينا دوره المرموق الذى لعبه فى ازدهار الحضارة العربية والإسلامية فى عصورها الذهبية .

- إن الاعتداء الفرنسى على الجزائر كان نتيجة خطط استعمارية مبيتة طويلة الأمد ضد شعب يتمتع بكامل استقلاله وسيادته ، كما تثبت ذلك المعاهدات والوثائق الدبلوماسية المتعددة فى هذا المجال .

- أن الشعب الجزائرى لم يرضخ أبداً للاستعمار الفرنسى ، بل دافع دفاع المستميت عن كل شبر من أراضيه خلال نصف قرن كامل ، ثم استأنف بعد هذا الكفاح المسلح ، الكفاح السياسى ولم تسنح أية فرصة ممكنة له ، إلا وانتهجها دائماً لاستئناف الكفاح المسلح ، وها هو الآن يخوض حرباً كلية ضد قوى الاستعمار العالمى ببطولة ندر أن شهد العالم مثيلا لها فى كل تاريخ الحرية الدامى .

- أن الاستعمار الفرنسى حطم حياة الشعب الجزائرى من كل الوجوه : فنى الناحية الثقافية حارب الاستعمار الثقافة الوطنية الجزائرية وطور الأمية تطويراً خطيراً حتى بلغت نسبتها الآن ٩٢ ٪ ، كما أنه حاول جاهداً القضاء على الدين الإسلامى تحقيقاً لسياسته فى الاستيعاب التام ومسخ الشخصية الجزائرية الخاصة ، أما فى الناحية الاقتصادية الاجتماعية فإنه ضرب نظام المجتمع العربى ، وخلق فى الجزائر عنصرين متميزين كل التمايز : الأقلية الأوربية ذات الامتيازات الباذخة والثروات الطائلة ، والجماهير العربية الغارقة فى البؤس والشقاء والمؤلفة أكثريتها من بروليتاريا زراعية وصناعية

لا تملك لسد الرمق إلا أن تكون أدوات للاستغلال والاسترقاق. أضف إلى كل ذلك أن الاستعمار نشر الأوبئة الصحية والأخلاقية (خاصة السل والسفلس) الذين لم يكونا معروفين أصلا قبل فتح الاستعمار الفرنسى.

أما من الناحية السياسية فقد أقام الاستعمار فى الجزائر نظاماً شاذاً وحشياً كرس كل أجهزته البوليسية والقضائية والإدارية والعسكرية والتشريعية لتمكين الأقلية الأوروبية المستعمرة من إدامة استعبادها واسترقاقها واستغلالها لملايين الشعب العربى الذى حرم من حقوقه التمثيلية وحرياته الديموقراطية وأبسط وسائله التعبيرية، وأخضعت طلائعه القيادية لكل ضروب العسف والإرهاب والتعذيب والمصادرة والانتقام الجماعى الوحشى.

- أن الحركة الوطنية الجزائرية المعبرة عن مطامح ومطالب الشعب الجزائرى تركز مطالبها فى إلغاء هذا النظام الاستعمارى الشاذ الذى تشجبه جميع المواثيق الدولية وتستنكره أبسط المبادىء الأخلاقية. وهذه الحرية الوطنية أبعد ما تكون عن الشوفينية والتعصب العنصرى وكراهية الأجانب على اطلاقهم: أن مطلبها الأساسى هو النضال فى سبيل كسب حق تقرير المصير لجميع فئات الشعب الجزائرى على اختلاف عناصرهم وأصولهم والاشتراك سوية بممارسة حق السيادة فى بلاد الجزائر.

أن هذا التعارض الجوهرى بين نضال الشعب الجزائرى للظفر بسيادته وحريته واستقلاله، ونضال الاستعمار الفرنسى لإدامة استغلاله واسترقاقه واستعباده هذا التعارض يكون خطراً على السلام العالمى والأمن الدولى.

ولكل الأسباب السابقة، أصبح من أشد الضرورات الحاحاً واستعجالا

فى الوقت الحاضر ، تصفية النظام الكولونيالى القائم الآن فى الجزائر ومنح الشعب الجزائرى نظمه الديموقراطية الحرة المغتصبة وإعادة حرياته الأساسية المعلن عنها فى جميع المواثيق الدولية .

إن السلام العالمى لا يمكن أن يستتب إلا بالقضاء الفورى بمساهمة جميع الأحرار فى العالم على نظام الكولونيالية الفرنسية والنظام الاستعمارى العالمى على العموم » .

وهذا أيضاً هو تصريح الجزائرى الوطنى عباس فرحات رئيس مؤتمر البيان الديموقراطى بعد أن أعلن انضمام حزبه إلى جبهة التحرير الوطنى قال : أننى أعلن من هنا على رؤوس الأشهاد بأنه لن يكون بعد اليوم سلام أو هدنة أو هوادة ، بل شدة متزايدة فى الكفاح الذى فرضه الاستعمار علينا فرضاً إلى أن يتم القضاء على جميع المستعمرين الفرنسيين والمرتزقة فى خدمتهم وتحرير الجزائر التحرر التام » .

وهذه أيضاً فقرة من بيان جبهة التحرير الوطنى توضح أساس كفاح الشعب الجزائرى تقول الفقرة :

« أن جبهة التحرير الوطنى تكافح للحصول على الاستقلال التام الذى سيضع وحده حداً نهائياً للوضع الاستعمارى (الكولونيالى) السائد فى الجزائر أن الوسائل الإصلاحية أثبتت فشلها التام ولم يبق الآن إلا دور الكفاح المسلح ، أما الأغراض المباشرة للكفاح فهى :

- إنشاء دولة جزائرية ذات سيادة تامة .
- انتخاب جمعية تأسيسية بطريق الاقتراع العام .
- القيام فوراً بالإصلاح الزراعى .

إن الدولة الجزائرية سوف لا تستند إلى العنصرية أو كراهية الأجانب ، أو التعصب ، كما أنها لن تكون ملكية أو تيوقراطية بل جمهورية بأحدث معانى الكلمة .

و بعد فهذا هو موقف الثوار فى الجزائر .

أنه بحق موقف مشرف كله وعى وشرف .

أنه موقف كله إصرار وصلابة وكفاح بالرغم من المساومات التى يعتنقها البعض و يجعل منها أساساً لكفاحه . . أنه موقف محدد لا يشير إلا إلى طريق واحد هذا الطريق الذى حدده الكاتب والزعيم الوطنى الجزائرى أحمد توفيق المدنى فى كتابه الأخير عن الجزائر « هذه هى الجزائر » فى الفصل الأخير منه إذ يقول : فماذا تريد الأمة الجزائرية يا ترى ، من وراء هذه الحرب القاسية التى تحملت وقرها عشرين شهرا ، والتى لا تزال مستعدة لتحملها إذا لزم الحال أشهراً أخرى أو أعواماً أخرى ؟ .

ولماذا هى ترفض بإباء وشمم عروض فرنسا ؟

هل هى تحارب حباً فى الحرب ؟ هل هى تقبل أن تحطم ديارها و يقتل رجالها ونساؤها وتصاب بالضربات الفتاكة ، كما تصيب خصمها بالضربات الفتاكة ، لمجرد التلذذ بالفناء ، والتسلية بأعمال الفتك والتخريب ؟ .

كلا ! .

بل هى تقول فى لسان فصيح ، منطق ، معقول : أنها لن ترضخ أبداً ، ومهما كانت الحالة ومهما تغيرت الظروف ، لحكم النظام الاستعمارى الذى ضرب عليها الذلة والمسكنة ، والذى حال بينها و بين العلم والعمل والثروة

والسعادة ، والذى جعلها محكومة بغير بنيها ، ووزع ثروتها على غير ذويها ، وأبقاها تحت نظام هو أشر أنواع النظم الرأسمالية ، بينما يستقبل العالم أجمع حياة النور والحرية ، والعزة والكرامة ، وما عروض فرنسا مهما تفننت فى زخرفها نفاقاً وتضليلا ، إلا تثبيت للنظام الاستعمارى وقضاء على الحرية والاستقلال .

أمة الجزائر تريد الاستقلال بأرضها الاستقلال بحكمها الاستقلال بتقرير مصيرها ، تريد أن تكون أمة كسائر الأمم ودولة كسائر الدول ، ذات جنسية كسائر الجنسيات وذات علم كسائر الأعلام ، ثم أن أمة الجزائر لم تصب بعدوى العنصرية ولا تريد أن تسقى غيرها من الكأس التى سقاها بها . فهى من استقلالها المقبل ، الآتى قريباً لا ريب فيه تفسح فى وجه الفرنسيين الذين استقروا فى أرض الجزائر ميادين العمل ، على قاعدة التساوى التام على شرط أن يعتنقوا مخلصين الجنسية الجزائرية ، وعلى شرط أن لا يكون لهم أدنى امتياز مهما كان أمره على بقية المواطنين لا من حيث الكم ، ولا من حيث الكيفية .

ولا تتسامح الأمة الجزائرية فى أى شبر من تراب أرضها كما هو محدد الآن ، وخاصة صحراءها الجنوبية التى هى جزء لا يتجزأ من تراث القومى ، فما تدعيه فرنسا هذه الأيام من محاولة بتر الصحراء من أرض الجزائر ، إنما هو ادعاء باطل خاسر تقف الأمة الجزائرية ضـــده موقفاً صارماً لا هوادة ولا لين فيه .

وأن الجزائر تريد أن تكون دولة ديموقراطية حرة ، تسير مع العالم الحديث متساوية فى الحقوق والواجبات ، واضعة جهودها فى خدمة المثل

العليا الإنسانية وتحقيق السلام العالمى الدائم ، مع شقيقاتها من الدول العربية الحرة .

أننا نعلم أن كل حرب لا تنتهى إلا بمفاوضات ، وأننا نعلم أن حربنا هذه لا تنتهى كذلك إلا بمفاوضات ، لكن هذه المفاوضات لا يمكن أن تقع — بصفة مباشرة أو بصفة غير مباشرة — إلا على هذه الأسس :

أولها : الاعتراف الصريح من الجانب الفرنسى ، باستقلال البلاد الجزائرية استقلالا تاما ، يشمل كل مظاهر السيادة القومية وخاصة التمثيل السياسى ، والقوة العسكرية الوطنية .

وثانيها : اطلاق سراح سائر المسجونين والمعتقلين من أحرار البلاد .

وثالثها : المفاوضة مع جيش التحرير الوطنى وجبهة التحرير الوطنى بعد ذلك الاعتراف لوقف أعمال الحرب ، والإقدام على بناء المستقبل الجزائرى المستقل والقضاء على مخلفات الاستعمار وذلك بواسطة حكومة جزائرية حرة ، تشرف على انتخاب مجلس تأسيسى حر .

هذا هو الحل الوحيد ، العادل ، الإنسانى ، الذى تريده الأمة الجزائرية والذى هى مستعدة لقبوله والعمل به منذ الساعة ، متى رضخ الخصم للحق ، وكف عن العناد الإجرامى .

إنها تكافح وتنتظر ، ولا تمل الكفاح ولا تمل الانتظار ؛ لأنها واثقة من الفوز والانتصار . (انتهى كلام الأستاذ أحمد توفيق المدنى) .

نعم يا أخى هذا هو سبيلنا . . ولن نتنازل عنه قيد أنملة ، إننا نعرف ماذا نصنع ونعرف أن العالم المحب للسلام معنا ، وأن شعوب الأرض كلها تناصرنا،

وتقف إلى جانبنا وأن حفنة قذرة من الاحتكاريين هي التي تقف فى طريقنا وتحبس حريتنا وتستعبد شعبنا وتأكل كل خيرات أرضنا وتتحكم فى أقواتنا .

نعم يا أخى إننا نعرف طريقنا وأن شعوب الأرض كلها بما فيها شعب فرنسا تؤيدنا وتقف إلى جانبنا .

وهذه صفحات أخرى من هذا الكتاب المتواضع توضح لنا أن الشعوب الحرة كلها معنا وأننا لا بد أن ننتصر فى النهاية لأن هذه الملايين تؤيدنا وتقف إلى جوارنا .

فإلى الفصل السادس لنرى مواقف هذه الشعوب منا .

(٦)

موقف الشعوب الحرة من قضية الجزائر

إن قضية الجزائر مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بصيانة السلام فى العالم كله ، ولهذا فإن الشعوب الحرة المحبة للسلام تقف صفاً واحداً وراء هذه القضية بالرغم من مناورات الاستعمار العالمى ومحاولته تفتيت هذا التكتل بشتى الطرق والوسائل كما هى عادة الاستعمار العالمى فى كل قضايا الشعوب العادلة ! .

ولنعد سوياً إلى الماضى القريب لنرى موقف دول الاستعمار العالمى من مؤتمر باندونج الذى جمع شعوب آسيا وأفريقيا ولنرى كيف استطاعت القوى البشرية الشريفة والمحبة للسلام القضاء على كل هذه المناورات والخروج من المؤتمر بقرارات أحدثت ضجة كبرى فى دوائر الاستعمار العالمى وهزت أركانه ومن بين هذه القرارات القرار الخالد بتأييد شعوب شمال أفريقيا ومطالبة الحكومة الفرنسية بأن تعترف على الفور بحقوق الجزائر وتونس ومراكش !

وعند ما أعلنت هذه القرارات ابتهجت لها كل القوى الشريفة فى العالم وقابلتها بموجة من الترحاب فقالت جامعة الدول العربية فى تقرير لها عن المؤتمر ما يلى :

أجمعت الدوائر العربية على التقرير الحق لما أحرزته القضايا العربية جميعا من تأييد المؤتمر الآسيوى الأفريقى سواء فى ذلك قضايا فلسطين وشمال أفريقيا

والجنوب اليمنى ، ومناطق شبه الجزيرة العربية . وأجمعت الوفود العربية لدى المؤتمر على تقرير نجاحه ، وألقى رؤساءها تصريحات خلاصتها أن المؤتمر أتى برهانا على يقظة الشعوب الآسيوية والأفريقية وتضامنها فى خدمة الحرية والسلام ، وأن نجاحه تجاوز تقديرات المتفائلين . فقد دل على أن أكثر من نصف سكان العالم يؤيدون قضية السلام العالمى ، وأمكن للمندوبين على الرغم مما بين بلادهم من اختلافات أن يجدوا أسساً للاتفاق على المسائل الدولية والإقليمية ، وهو فى الواقع يعد نجاحاً باهراً للعرب ، فإسرائيل تجد نفسها مضطرة إلى قبول قرارات الأمم المتحدة والتسليم بحقوق عرب فلسطين ، وقد عرف العالم نواياها العدوانية والاستعمارية ، وقضايا شمال أفريقيا تأيدت ، وحقوق أهلها فى الحرية والاستقلال وتقرير المصير كسبت سنداً قوياً ، وكذلك قضايا عدن والمحميات العربية نالت تأييد المؤتمر » .

وكذلك قالت أندونيسيا كلمتها فى المؤتمر وأجمعت الأحزاب السياسية والجماهير الشعبية على التمسك بمبادئه .

وقال نهرو كلمته باسم الهند فأعلن عن نجاح المؤتمر ثم قال : وإذا كان مغزى اجتماع باندونج أمراً عظيما وحدثاً تاريخياً ، فإننا نسىء إلى التاريخ إذا اعتبرنا مثل هذا المؤتمر بمثابة حدث منعزل ، وليس تطوراً فى تاريخ العالم » .

أما الاتحاد السوفييتى فقد أعلن عن رأيه فى جريدة برافدا فقال : أن البيان الذى أصدره المؤتمر والقرارات التى اتخذها تمثل أهداف الشعوب الآسيوية والأفريقية وأمانيها فى اجتثاث جذور النظام الاستعمارى ، وإقامة علاقات الجوار الطيبة ، والتعاون السلمى فى الحقل الاقتصادى والاجتماعى » .

وقال شواين لاى رئيس حكومة الصين الشعبية رأى الصين فى المؤتمر فى تقرير تقدم به إلى اللجنة التنفيذية للكونجرس الصينى جاء فيه ما يلى :

« أن أول عمل بارز توصل إليه أعضاء المؤتمر هو التأييد لنضال شعوب آسيا وأفريقيا وخاصة لنضال تونس مراكش والجزائر فى سبيل استقلالها » .

وقال : أن الصين حكومة وشعباً تحمى هذا النضال ، وتتمنى له النجاح بالتعاون مع الدول الأخرى » .

* * *

إذاً لقد كان مؤتمر باندونج هو المصفاة التى تمكنا بواسطتها من معرفة الأصدقاء من الأعداء وبعد هذا المؤتمر اجتمع الأقطاب الثلاثة « نهرو ، وناصر ، وتيتو » فى بريونى وأصدروا عدة قرارات هامة من بينها قرار بحل مشكلة الجزائر على الأسس التى وضعها مؤتمر باندونج ... وكانت صفعة جديدة للاستعمار ! .

انظروا معى إلى مقال « فاوضوا » الذى كتبه الكاتب الفرنسى الكبير « ليون فيليكس » أنه يقول : هل ستكون حرب الجزائر الآن على غرار حرب الفيتنام بالأمس ؟ حرب طويلة مخربة هدامة للجزائر وفرنسا ؟ حرب يسقط فى أتونها مئات الألوف من الضحايا العرب والفرنسيين من أولادنا وفلذات أكبادنا ؟ حرب معارضة على طول الخط لشرف بلادنا وكرامة شعبنا ؟

ولكن من الذى يعتقد حقاً بنجاح سياسة « التهدئة » بالوسائل العسكرية ، حتى إذا فسرنا معنى التهدئة بمجرد وقف تطور حركة التحرير الجزائرية لأمد قصير ! وماذا تستطيع كل الأعمال الوحشية المرتكبة من قبل الاستعماريين ، من قصف إجماعى إلى انتقامات بالجملة ، إلى محو قرى

وقصبات بكاملها ، ضد عشرة ملايين نسمة ، صمموا برمتهم ، من رجال ونساء وشيوخ وأطفال ، على الموت فى سبيل حرية وطنهم ! نحن لم نعد اليوم فى زمن الفتح الاستعمارى بحفنة من المرتزقة لقد حدثت خلال الفترة التى تفصلنا عن ذلك الزمن أخطر الحوادث العالمية : لقد تم تحرير الصين ، واستقلال الفيتنام ، وعقد مؤتمر باندونج !) .

ثم يقول : (كلا ! ليس من الممكن فى عصر باندونج القضاء على أمة احترفت النضـال ، بمجرد حجج قانونيـة سخيفة عفا عليها الزمن ! . انظروا إلى هذه البقعة الصغيرة : شرق الأردن ، أين ولى ذلك الجاسوس الاستعمارى الـكبير الجنرال (جلوب) ! ؟

انظروا إلى هذه البقعة الصغيرة الأخرى « قبرص » ماذا دهى الحـكومة البريطانية حتى تجرأت على نفى قس مسيحى هو الأسقف « مكاريوس » !

انظروا إلى « سيلان » و إلى . و إلى ... أفمن الممكن أن تبقى الجزائر خارج هذا الطوفان العارم المندفع اندفاع الأعصار نحو الحياة الحرة ! كلا وألف كلا ! » .

ثم يقول : أن عصر باندونج الذى نعيش فيه هو عصر التحول العالمى الحاسم ، العصر الذى غدت فيه مسألة تصفية النظام الـكولونيالى القذر من أخطر وأهم ضرورات الساعة ، يجب علينا نحن أحرار فرنسا أن نستنفد كل الفرص المواتية ، لتحقيق مبادئنا الإنسانية الرفيعة لصالح الشعوب المستعبدة المضطهدة من قبل استعمارنا القذر نفسه ، ولصالح شعبنا المجيد أيضاً ، أن المهم ، فى اللحظة الحاضرة ، أن نضاعف جهودنا ونعبىء كل قوانا لوقف المجزرة

الجزائرية ، أن صوتاً واحداً ينبعث اليوم من أعمق أعماق الشعب الفرنسى ، صوتاً ضخماً ، هائلا ، يصرخ فى وجه المستعمرين الفرنسيين أن . فاوضوا !)

وهذا هو الكاتب الفرنسى والمفكر الحر (بييرستيب) يقول فى مقاله (المشكلة الجزائرية مفتاح المشاكل الفرنسية) الذى نشره فى صحيفة (كاييه أنترناسيونو) ما يلى :

« لا تستطيع أية حكومة من حكومات الجبهة العربية الآسيوية أن تخون شعباً يكافح فى سبيل مبادىء مؤتمر باندونج ، أضف إلى ذلك أن الثورة الجزائرية الكبرى ولدت فى داخل الجزائر ، وهى غير تابعة لأية حكومة من الحكومات العربية الحالية ، هذا فضلا عن أن الاتصال بالثوار الجزائريين ممكن وميسور ، وأن حل المسألة الجزائرية الحل السلمى الصحيح الذى يتلاءم ومصالح الشعبين الجزائرى والفرنسى معاً أيسر عن طريق الاتصال المباشر بالمقاومة الجزائرية منه عن طريق وساطة أية دولة من الدول الأخرى » .

وفى موضع آخر من المقال يقول الكاتب الحر « أنه من المؤكد أن ثورة الجزائر المسلحة ما هى إلا عمل إيجابى لقرارات مؤتمر باندونج الذى حدد أجل الاستعمار فى العالم كله . . وأن الدول والشعوب التى أصدرت هذه القرارات لتأيد بصدق موقف شعب الجزائر من الاستعمار العالمى » .

وأن العالم كله لا ينسى مطلقاً موقف الرئيس المصرى جمال عبد الناصر من قضية الجزائر عند ما حضر إليه (بينو) وزير الخارجية الفرنسية فى القاهرة وطلب إليه التدخل لحل مشكلة الجزائر عن طريق الوساطة المصرية ، والآمال التى كان يعلقها الاستعماريون على هذه المقابلة و إمكان توجيه الثورة

وجهة المساومة والمصالحة ... ولـكن رد الرئيس المصرى على وزير خارجية فرنسا كان كافياً لسحق هذه الآمال الاستعمارية .

* * *

نعم إن باندونج قد جمعت العالم الشريف المحب للسلام حول قضية الجزائر ، ودفعت الشعب الجزائرى نفسه إلى الانطلاق كالمارد على الطريق المؤدى إلى حريته ولن يعود هذا الشعب فى نهاية الأمر إلا منتصرا .

انظروا معنا إلى المساعدات التى تقدمها الدول الصديقة للجزائر وانظروا معنا إلى مواقف مندوبى الدول الصديقة فى هيئة الأمم المتحدة عند ما نظرت قضية الجزائر ماذا قالت مصر ، وماذا قالت سوريا ، وماذا قالت دول الـكتلة الشرقية وماذا قالت دول آسيا إنه اجماع لا نظير له على تأييد الشعب الجزائرى فى نضاله .

بل انظروا معنا إلى تصريح الأستاذ السيد حسين التريكى عضو لجنـــة تحرير المغرب العربى عن ارتباط النضال فى بلدان المغرب العربى كله أنه يقول : هناك حجج علمية كثيرة سجلها التاريخ وهى تثبت أن كل حل اقطر واحد من أقطار المغرب العربى يعتبر خديعة استعمارية واضحة ، ولا يمكن بحال أن يفرض استقلال أى قطر ، ولذلك فإننا نؤمن أن استقلال تونس ومراكش متوقف على استقلال الجزائر ولهذا تجد الفرنسيين يلجأون إلى المناورات السياسية وألفاظ الاستقلال ضمن التكامل والتبعية المتبادلة ، لـكى يفتوا من عضد المغاربة و يشتتوا صفوفهم ، حتى يتمكنوا من الظفر بهم واحداً تلو الآخر كما احتلوهم واستعبدوهم شعباً بعد شعب » .

ثم يقول : « أن الثورة المندلعة الآن فى الجزائر هى فى الحقيقة ثورة المغرب العربى ، ولذلك وجب على كل من شعبى تونس ومراكش أن يساندا الجزائر فى ثورتها لكى يتمكنا من الحصول على استقلالهما الحقيقى والاحتفاظ به » .

وهذا هو تصريح للدكتور صادق المقدم وزير الصحة التونسية يقول فيه : أن قضية الجزائر تحتل المركز الأول من اهتمامنا ، لأن الاستقلال التونسى لن يكمل إلا بعد ظفر الجزائر بكل مطالبها العادلة » .

وهذا هو مقال نشرته جريدة (العلم) لسان حال حزب الاستقلال المراكشى تقول فيه : إذا لم تتحرر الجزائر فإننا سنجد أنفسنا فى عزلة تامة عن تونس وعن العالم العربى بأجمعه ومعنى ذلك أننا سنعيش فى صحراء قاحلة تحدها الجزائر المحتلة من جهة والصحراء الجنوبية من جهة أخرى ، والمحيط الأطلسى من جهة ثالثة ، وهذا مالا يمكن أن نقبله بالمرة » .

* * *

وليست تونس ومراكش والشعوب العربية والآسيوية وشعوب الكتلة الشرقية فقط هى التى تقف إلى جانب القضية الجزائرية بل أن هناك شعب فرنسا أيضاً ، هذا الشعب الذى يستعمره الرأسماليون الفرنسيون و يدفعون به إلى الحرب دون أن يكون له أدنى مصلحة فى ذلك . . انظروا معى إلى تعليق مجلة الاقتصاد والسياسة الباريسية على الحرب الاستعمارية فى الجزائر ونتائجها الاقتصادية المخربة للاقتصاد الوطنى الفرنسى أنه يقول :

« صرح وزير المالية الفرنسية بتاريخ ٤/١٠ / ١٩٥٦ أمام الجمعية الوطنية الفرنسية بأن المصروفات الاستثنائية فقط للحروب العسكرية فى شمال أفريقيا

يجب تقديرها بمائتى مليار فرنك على أن هذا الرقم قد أصبح عتيقاً الآن لأنه لم يأخذ بنظر الاعتبار دعوة الاحتياط التى تقدر الآن بثلثمائة مليار فرنك.

ومعنى ذلك أن المصروفات الاستثنائية المشار إليها تقدر الآن بثلثمائة مليار فرنك فى المرحلة الحاضرة إن لم يترد الوضع أكثر منه الآن ، وكل الأدلة تشير إلى هذا التردى الأكيد ، إن لم نبادر فوراً لإنهاء هذه الحرب الاستعمارية فى الجزائر ، ويشاع فى الأوساط الرسمية أن وزير المالية يفكر فى الحصول على نصف التكاليف المذكورة عن طريق القروض المختلفة الآجال والنصف الآخر عن طريق الضرائب (فعلا تقدمت الحكومة الفرنسية بمشاريع باهظة لفرض الضرائب على الشعب الفرنسى لتمويل حرب الجزائر) .

ومن النتائج الأخرى المريعة لهذه الحرب القذرة الدفع بمئات الألوف من صفوة الشباب الفرنسى العامل — وبينهم عدد كبير من العمال المهرة والفنيين — لأتون المجزرة مما سيؤدى حتما إلى تخريب الاقتصاد الفرنسى الوطنى ، وقد اضطرت مشاريع ضخمة فى الميادين الأساسية للحياة الاقتصادية الفرنسية — خاصة فى البناء والتعدين والصناعات الآلية — لتخفيض إنتاجها مما سيساعد لحد كبير على زيادة الطلب على العرض ، ويكون بهذا عاملا مهماً من عوامل التضخم .

أضف إلى كل ذلك المبالغ الباهظة التى تصرف الآن لإنتاج الأسلحة الخفيفة وقد قدرت على وجه التقريب بمائة مليار فرنك وكما أن طلب الأسلحة الثقيلة من المصانع الأمريكية أدى إلى عجز هائل فى الميزان التجارى الفرنسى ، فكذلك طلب الأسلحة الخفيفة من الصناعة الفرنسية أدى إلى تكديس

أرباح الاستعمار الفرنسى ولـكن على حساب تدهور الإنتاج السلمى للشعب الفرنسى نفسه وانخفاض قواه الشرائية واستفحال التضخم » .

* * *

إن هذا التعليق الاقتصادى المتعمق يعطينا فـكرة واضحة عن القفص الفولاذى الذى يضرب به الرأسماليون الفرنسيون على الشعب الفرنسى المحب للسلام ، وأن طليعة المثقفين والعمال والطلبة الفرنسيين يدركون هذا تماماً ويقفون إلى جانب الشعب الجزائرى فى نضاله المرير من أجل حريته حرصاً منهم على سلامة معيشة شعبهم الفرنسى نفسه ! .

إن شعوب العالم كلها بلا شك تقف إلى جانب شعب الجزائر الباسل أما حفنة الرأسماليـة الاستعمارية فهى تقف فى وجه الشعب الجزائرى وفى وجه كل الشعوب من أجل إطالة عمر العـالم الرأسمالى مدة أطول . . ومن أجل هذا وجب على شعوب العـالم والجماهير الواعية أن ترسم خطة واحدة للوقوف فى وجه الاستعمار العالمى ، وذلك بتأييد قضايا الشعوب المستعبدة وكشف حركات الاستعمار العالمى فى كل مكان حتى يمكن أن نقضى عليه فى أقرب وقت ونصفى أعماله كما أوصت قرارات المؤتمر الخالد باندونج .

* * *

وبعد لم يبق أمامنا سوى رسم طريق الخلاص للشعب الجزائرى . . وهذا الطريق المستقيم . . طريق الخلاص هو ما سنتحدث عنه فى الفصل القادم .



هكذا تفعل الثورة فى الاستعمار



شباب من جيش التحرير الجزائرى

٧

الطريق إلى الخلاص

إن الطريق إلى الخلاص من الاستعمار واضح أمامنا ولا يحتاج إلى أى إيضاح جديد . . . فها هى الأيام تحمل إلينا مزيداً من التأكيدات التى تدل على أننا لسنا وحدنا فى كفاحنا وأن كل الشعوب الحرة تقف إلى جانبنا .

انظروا إلى قرارات أقطاب العرب الأربعة و إلى بيانهم الذى نص فى نقطته السادسة على تأييد كفاحنا وتأييد حقنا فى الحرية والاستقلال وتمجيد نضالنا الجبار ضد قوى الاستعمار .

وانظروا إلى موقف عدونا بعد عامين من القتال المرير أنه يوشك أن يقع على الأرض بعد أن أنهكت قواه الضربات المتتالية وكادت تقضى عليه قضاءاً تاما .

وها هى الحقيقة الثابتة تتضح يوماً بعد يوم لأنها تدل دلالة واضحة على أن عدونا سوف يلقى مصرعه على صخرة ثورتنا وصلابة الثوار فقد تضاعفت متاعب فرنسا بالنسبة لقضايا الشمال الأفريقى و بالنسبة لثورتنا المسلحة وأصبح الرأى العام الفرنسى فى حالة بينة من الذعر والقلق على مستقبل بلاده وكيانها .

فعلى الرغم من ضعف صيغة القرار الذى اتخذته الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة أخيراً والذى يقضى بحل مشكلة الجزائر عن طريق المفاوضات وعلى الرغم من محاولة كريستيان بينو تضليل الشعب الفرنسى بوصف ذلك القرار

بأنه نصر للسياسة الفرنسية فإن الشعب الفرنسى يرى فيه لطمة قاسية لسياسة حكومة موليه المتعجرفة بل لكرامة فرنسا نفسها ! فهو قرار ينطوى على اعتراف العالم بأن المسألة الجزائرية ليست مسألة فرنسية داخلية كما يدعى موليه و بينو و بقية العصابة بل هى مشكلة خارجية تتعلق بشعب آخر يرغب العالم فى حلها على أسس الحرية والديموقراطية وميثاق الأمم المتحدة .

وقد أعرب الكثيرون من زعماء فرنسا عن عدم ارتياحهم لذلك القرار منددين بموقف حكومة موليه وقبولها لتلك اللطمة القاسية ! .

ومن ناحية أخرى فهذا القتال المرير الدائر الآن فوق أرض الجزائر يحمل الذعر والفزع فى قلوب الكثيرين من رجال السياسة ويجعلهم يفكرون فى تبديل أساسى فى سياسة فرنسا الخارجية فى الشمال الأفريقى .

على أن ما يثير قلق فرنسا أكثر من أى عامل آخر هو فداحة الخسائر التى تنزل بجيوشهم فى الجزائر يوماً بعد يوم سواء فى الأرواح أو الأموال .

وقد اضطرت السلطات الفرنسية إزاء ما شعرت به من قلق الشعب الفرنسى فى هذا الصدد إلى إذاعة بيان رسمى جاء فيه أن خسارة فرنسا فى الجنود بلغت نيفا وأحد عشر ألف قتيل وجريح منذ قيام الثورة الجزائرية قبل ٢٨ شهرا .

ولكن هذا البيان — رغم ضآلة الأرقام التى أوردها بالنسبة للحقيقة — ترك أثراً سيئاً فى الأوساط الفرنسية حيث كانت السلطات نفسها تؤكد للشعب أن خسائر الفرنسيين فى الجزائر طفيفة .

والشعب الفرنسى مع علمه بأن الخسائر الحقيقية التى منيت بها بلاده فى الجزائر تفوق ما ذكرته الحكومة إلا أنه استفظع واستعظم الرقم الذى اشتمل عليه البيان الرسمى وسبب له قلقاً جديدا .

وفى الوقت نفسه جاء إعلان وزير المالية بتخفيض الميزانية بنسبة ١٠ ٪ وعدم زيادة الأجور ، بسبب الأزمة الاقتصادية التى تعانيها فرنسا عاملا آخر فى إثارة الرأى العام الفرنسى وإشاعة القلق والفزع فى صفوفه ذلك أن ما أعلنه وزير المالية يقوم دليلا واضحاً على قرب انهيار الاقتصاد الفرنسى ، ونظراً لأن نفقات الحرب فى الجزائر هى السبب المباشر فى الأزمة الاقتصادية والمالية التى تقاسيها فرنسا ، فإن الشعب أخذ يزداد شعوراً بوجوب حل مشكلة الجزائر حلا عادلا قبل أن تعصف ثورتها بما بقى لفرنسا من قوة اقتصادية ومالية .

وهناك عامل خطير جديد طرأ على الموقف فى الأيام الأخيرة وأصبح يكشف موقف الاستعمار العالمى بالنسبة للقضية الجزائرية . . . هذا العامل هو حقول البترول التى اكتشفت أخيراً بالصحراء الكبرى واتخذها موليه حجة جديدة للبقاء فى الجزائر فأخذ يمنى الرأسمالية الفرنسية بتفريج الأزمة الاقتصادية الفرنسية بواسطة استخراج البترول الجديد .. ولكن أصحاب رؤوس الأموال الفرنسية فوجئوا فى الأيام الأخيرة بأنباء تقول أن موليه اتفق مع دالاس وزير خارجية أمريكا على ادخال الشركات الأمريكية فى مهمة استخراج البترول مقابل تأييد أمريكا لفرنسا فى الشمال الأفريقى ! .

ورغم نفى الحكومة الفرنسية لهذه الأنباء فإن الرأسمالية الفرنسية تعتقد صحتها وتتوجس خيفة بأن يذهب البترول وفوائده وأرباحه إلى أمريكا .

ولهذا ثار الرأسماليون الفرنسيون ثورة عنيفة على حكومة موليه وهددوها بالسقوط .

أرأيتم إلى أى حالة من الضعف وصل عدونا ...

أرأيتم إلى أى حالة من القوة وصلت ثورتنا .

إن الثورة وحدها هى طريقنا إلى الخلاص .. فاستمرارها هو استمرار لمتاعب العدو .. وتخبطه وموته فى النهاية .

إن الثورة التى تكسب كل يوم تأييداً جديدا هى طريقنا إلى الخلاص . ولن يكون لنا طريق غيرها فإذا أراد عدونا أن يفاوضنا فليضع أنفه فى التراب ويذهب إلى رجال جبهة التحرير الوطنى ويقر أولا النقاط الخمس التى وضعناها أساسا للمفاوضات وهى :

- الاعتراف بسيادة الشعب الجزائرى .
- تكوين هيئة تنفيذية مؤقتة بالاتفاق مع جبهة التحرير الوطنى .
- المساواة فى الحقوق بين جميع الوطنيين بدون تمييز بين الأجناس والأديان مع اجراء رقابة دولية على ذلك .
- اجراء انتخابات عامة تحت اشراف دولى .
- قيام نواب الأمة بسن دستور البلاد بكل حرية وبدون أى ضغط أجنبى مع تحديد طبيعة العلاقات الواجب اقامتها بين الجزائر وفرنسا .

أما إذا أراد عدونا التمسك بعناده فعليه أن يحصل مع فجر كل يوم مزيداً من المتاعب ومزيداً من القلق والذعر والفزع .

الثورة هى طريقنا ... وستكون دائماً طريقنا ونحن أقوياء لأن العالم كله معنا ولا تقف ضدنا سوى حفنة قليلة من أصحاب رؤوس الأموال وأنصار الكولونيالية .

إن قوتنا هائلة ، وليسمع الرجعيون من الفرنسيين إلى ما يقوله مواطنهم الحر (ايميه سيزار) أنه يقول :

« إن القوى التى تجهز على الاستعمار اليوم هائله حقاً أنها قوى الشعوب المستعمرة فى كفاحها فى سبيل حريتها ، والقوى الديمقراطية فى سائر أنحاء العالم ويجب أن لا ننسى أبداً أن أقوى الأصوات التى انبثقت ضد هذا الوحش الضارى المسمى بالاستعمار كانت دائماً هى أصوات الأحرار الفرنسيين من (مونتانى) إلى « كوندروسيه » إلى (فكتور هوجو) ! إن هوجو العظيم هو الذى أطلق هذه العبارات النارية الرائعة : ليس لأى شعب من الشعوب الحق فى فرض سلطانه على شعب آخر . وكما ذهب زمن استرقاق الإنسان للإنسان ، كذلك عفا زمن استرقاق الشعب للشعب ، إن جريمة استعباد الشعوب هى أبشع وأفظع من جريمة استرقاق الأفراد وهذه هى الحقيقة » !

هذا ما يقوله مواطن فرنسى حر وينذر به السادة الإستعماريين فى بلده الذين يخرجون علينا كل يوم بحل جديد لوقف القتال وكلها حلول استعمارية حقيرة لا يقبلها أحد فقد تخطت ثورتنا كل الحلول الاستعمارية وليس أمامها سوى حل واحد هو الحرية الكاملة ...

أن الحل الوحيد للمشكلة الجزائرية هو المفاوضات مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائرى وهم جبهة التحرير الوطنى .

إن هذا الحل ستفرضه ثورتنا وموقف الشعوب الحرة منها فرضاً على السادة الاستعماريين إذا كانوا قد أغلقوا آذانهم عن صيحات حزب الشعب الفرنسي وكل الشرفاء فى فرنسا هذا الحزب الذى أعلن فى ١٢/٥/١٩٥٦ فى بيان رسمى له بأن الهيئة العليا السياسية لحزب الشعب الفرنسى تؤكد معارضة الحرب فى الجزائر وتعلن على رؤوس الإشهاد وجوب انهائها فوراً ويجب على الحكومة أن تدخل فى مفاوضات من الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائرى المكافح الآن فى سبيل حريته ، وأن لا تصم آذانها عن العروض المقدمة من أجل المفاوضات من قبل جماعة تمثل قسما مهما من حركة المقاومة الجزائرية .)

إن ثورتنا ستفرض هذا الحل بقوتها وعدالة مطالبها وأهدافها فرضا على السادة الفرنسيين !

ولن تهدأ الثورة ..

ولن تتحول الثورة ..

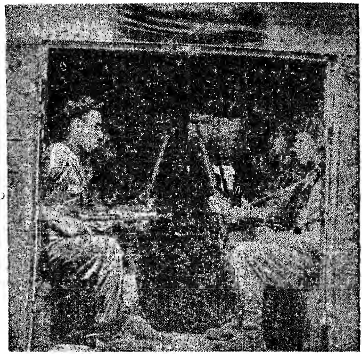
إنه إصرار ...

إنها عقيدة .. وإيمان .

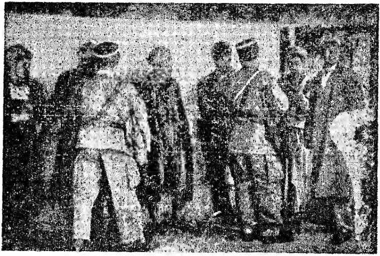
إنها حرب مقدسة ... مستمرة ..

إنها كلمة شريفة أقسمنا أن نقف خلفها إلى آخر جزائرى ولن يخرج عن الاجماع واحد منا ...

ولن يجد الاستعمار مخرجاً إلا بالخضوع لمطالبنا وبإنهاء كل نظمه الاستعمارية التى عاشت الجزائر فى ظلها ١٢٧ عاما ! .



جيش التحرير فى طريقه إلى المعركة



عمليات التفتيش الإجرامية التى يرتكبها الاستعمار كل يوم فى الجزائر

ستستمر الثورة ... وستقضى على كل الأعداء ولن تفلح المناورات والمؤامرات ... وسينقضى وقت الاستعمار وستصفى كل نظمه وقوانينه ... . ويبقى شعب الجزائر يعيش مع شعوب العالم الحرة فى سلام وحب وأخاء . .

وستستمر الثورة ... لأن فى العالم شعوبا أجمعت فى مؤتمر باندونج العظيم على مناصرتنا ومناصرة ثورتنا وأن هذه الشعوب تؤمن بنا وتنتظر نتيجة عملنا العظيم فى شغف وإيمان !

ستستمر الثورة لأنها طريقنا الوحيد إلى الخلاص ..

ستستمر الثورة لأنها طريقنا الوحيد إلى الظفر بحقوقنا وإلى إعادة أراضينا وأموالنا الضائعة ... ومجدنا المسلوب .

إنها طريقنا إلى إقامة حياة اجتماعية عادلة فوق أرض الوطن تلك الحياة التى أصبح كل مواطن جزائرى ينظر إليها على أنهامسألة حياة أو موت بالنسبة له ..

هذا طريقنا .. وهو الطريق إلى الخلاص .. ولن نحيد عنه أبداً ؟

عبد الحميد مسعود الجزائرى



مواطنات جزائريات قتل الاستعمار أزواجهن



مواطنة جزائرية هاربة من رصاص الاستعمار وهى تحمل ابنتها

مراجع هذا الكتاب

١ — منشورات جبهة التحرير وجيش التحرير الوطنى .

٢ — « حزب الشعب .

٣ — « انتصار الحريات الديمقراطية .

٤ — (هذه هى الجزائر) للأستاذ أحمد توفيق المدنى .

٥ — (أضواء على قضايا المغرب العربى) للأستاذ إبراهيم كبه .

٦ — أعداد مختلفة من الصحف الفرنسية والإنجليزية والأمريكية .

٧ — تعليقات الصحف المصرية ووكالات الأنباء الأجنبية .

٨ — تصريحات زعماء الجزائر .

٩ — تصريحات الوزراء الفرنسيين .

- العمل والجهاد فى سبيل تقوية روابط الوحدة والاتحاد .. وتسكتل الأفرادوالجماعاتوالشعوب العربية والإسلاميةلمناهضة الاستعمار أية كانت الدولة التى ينتمى إليها .. حتى ينقضى على ذلك الـكابوس الثقيل والشبح المزعج الذى يهدد الشرق والعالم العربى بين كل لحظة وأخرى
- نشر الثقافة الوطنية التى تشحذالعزائم وتقوى الهمم . وتزيد الوعىالقومى فى نفوس الشباب العربى المناضل والقضاء على ذلك الزعم الباطل .. قول بعض الرجعيين عن الدول الاستعمارية أنها « الدول العظمى » . . ولتسكن منذ الآن « الدول الصغرى » التى لا نخافها ولا نخشى بأسها ولنجعلها مرغمة صاغرة على احترامنا واستردادحقوقنا .. كأحرار أقوياء ومكافحين أشداء .

مكتب الجزائر للدعاية والنشر

ميدان الجمهورية
٢ شارع الخلاق عابدين
ص.ب. ١٩٣٩ - القاهرة

مطابع دار الكتاب العربي بمصر